اغتصاب حمامة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَة

عنوان الكتاب: اغتصاب حمامة

المؤلف: مصطفى ضو

تصميم الغلاف: تقي الدين بن دردوخ

الماهر
للطباعة و النشر و التوزيع

تعاونية الفلاح، العلمة ولاية سطيف
البريد الإلكتروني: dar.elmaher@outlook.fr
الهاتف الثابت: 036.48.00.17
النقال : 0777.23.38.83
واتساب: 00213777233883

ISBN : 978-9931-762-48-5
D.L : 11-2019

مصطفى ضو

اغتصاب حمامة

الماهر للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2019

إلى كل شريف صاحب مبادئ وقيم، إلى كل إمرأة وفتاة

تقف في وجه الظلم والطغيان.

إلى الأحرار الأقحاح في زمن العبيد

...أقدم تجربتي الثانية في السرد

الفصل الأول:

إستيقضوا مبكرا واستعدوا لقضاء أيام على شاطئ البحر، طلب منهم أن يصعدوا جميعا إلى السيارة بعد أن وضب الأمتعة في الصندوق الخلفي وربط بعضها على السطح، سطع ضوء الفجر بدأت الأشياء تظهر جليا، ثم كرر هيا لنتمتع إسرعوا قبل أن تشرق الشمس لنتمتع بمظهرها في الأفق وهي تشقه، إنحرفت السيارة قليلا ثم دخلت في الطريق الوطني، هالتهم المناظر وغمرتهم الفرحة، حتى قال الصبي الصغير لوالده يا أبي توقف قليلا لنأخذ صور تكون لنا تذكار، ثم واصلوا مسيرهم حتى أصبحوا على مشارف المدينة التي يقصدونها والتي تقع على شاطئ البحر، عندما توقفت السيارة في أول حاجز عند مدخل المدينة طلب منه بطاقة الهوية والأوراق الثبوتية، لقد كانت الصدمة مؤلمة، حين أمره قائد المجموعة ثم بعد أن سحب منه أوراقه بأن يعود أدراجه حالا وسلمه ورقة كتب فيها مطلوب للعدالة، فتحولت بهجتهم وعشقهم لقضاء أيام على شاطئ البحر إلى نكسة حقيقية، تلك الأيام كانت معروفة للجميع فلا صوت يعلو فوق

صوتهم الآمر والناهي، فأي تعبير عن الرأي وطرح الأفكار التي لا تناسبهم مصيرهم مؤكد هو التغييب داخل أروقة وزنازين السجون.

***

اخذوا لطريق العودة فسأل الصبي أمه هل نحن عائدون؟ لماذا ثم قال، هل نسينا شيء يا أبي؟ اما الفتاة صامتة لم تتكلم بكلمة فهي تندب حضها لان حلمها لتتمتع لأول مرة على شاطئ البحر قد تبخر وأصبح من الماضي، رد عليه وهو يمنيه لنا عودة أخرى يا بني وفي نفسه غصة يخفيها عليه لأنه يعلم علم اليقين لا أمل بعد اليوم في جمع شتات الأسرة مرة ثانية.

في حدود الثانية ظهرا دخلوا إلى منزلهم، والحزن يكسوا محياهم أما الصبي راح يمزح أباه فيصطنع له إبتسامة شفقة على هذه البراءة التي أريد لها الدهس.

قضى ليلته يفكر في الأمر وما العمل غدا صباحا هل يوكل محامي في قرارة نفسه أن الظلم الذي وقع عليه لا يستند إلى دليل، إنما كل حر وشريف لا يقبل التدجين أو الدخول إلى زمرة العبيد، فآخر شيء

يفكر فيه أن يخرج من غياهب السجون وهو يحمل عاهات جسدية أو عقلية إن لم يلف بالبياض ويسلم في الظلام!.

دخل الصبي يجري إلى المنزل وهو يشير إلى الخارج فقابلته أمه، نهضت مسرعة واتجهت إلى حيث الإشارة ثم تراجعت قليلا، وإذا بالزوج يهم خارجا ليسطع الأمر فدفعه إلى الأمام بقوة ثم أمر مساعديه أن يقتادونه إلى السيارة وقال للآخرين إبحثوا عن كل شيء.

عاثوا في أثاث المنزل وقلبوه رأسا على عقب فصادروا حاسوبه الشخصي وهاتفه وبعض المستندات لم يتبينوا ما فيها، ووضع أحذهم بعض المقتنيات الشخصية في جيبه خلسة وقد شاهده الصبي حين إرتمى في حجر أمه مع أخته في غرفة واحدة.

***

أودع السجن دون محاكمة ولا إجراءات لذلك، هذا هو أسلوب الترهيب وقمع الكفاءات وطمس تأثيرها داخل المجتمع، شاع وانتشر خبر اعتقاله ودخوله السجن كالنار في الهشيم لأنه علم معروف لدى الجميع، صاحب المكانة والاحترام لقد نال شرف هذه الرفعة والدرجة العالية لسمو أخلاقه ومعاملته ورأفته على الناس

خاصة المحتاجين والفقراء ماديا ومعنويا، حتى أصبح علما أخضرا في جيل السواد!.

***

حان موعد الزيارة دخلت إلى البوابة وانتظرت في فناء مخصص لتلاقي الزوار مع أقاربهم المسجونين، سألته عن وضعه داخل السجن وهي تعرف مسبقا بأنه لا يشتكي أبدا.

قال لها: بخير وأنتم والأبناء هم كذلك يبلغون لك السلام وأردف قائلا ولماذا هذه المرة لم يأتوا معك.

ردت في المرة السابقة أمرت أن لا آتي بهم أثناء الزيارة قام بحركة خفيفة لرأسه وقال: لا عليك، سيتغير الأمر وتأتي أيام حبلى بالأمل أعطته بعض الأطعمة الشهية لديه-ولكنه أصبح لا يستسيغ أي معنى للأكل لشدة التعذيب والإرهاق النفسي، وإنما ما يظهره من رابطة جأش وصلد ما هي إلا تحدي وإصرار تربى عليها وعاش في كنفها ولا يريد أن يشعر به الغير حتى وإن كانت من أقاربه وأحبابه بالضعف والوهن والانهزام أمام ما يسميه بـ"الكابوس"!.

***

تعالت الأصوات وتداخلت بين الصراخ والعويل والحيرة انتابت الجميع، في مشهد لا يمت بصلة للمكان المتواجد بين فيه، عندما حضروا من غير موعد ولا سابق إنذار للمجيء، كأن لباسهم موحد، ترجلوا وأحاطوا المنطقة من مختلف الجهات وأقاموا متاريس على الطريق المؤدي إلى المكان أرهبوا الجميع، خلا الشارع من المارة والمركبات إلا من مركبتهم المركونة أمام المدخل الرئيسي للمدرسة التي حولوها إلى شبه ثكنة.

تغيرت ملامح الحضور بين مستغرب وحائر لهذه اللحظات المروعة !، شقوا الصفوف، والشرر يتطاير من نظرات عيونهم والزبد يخرج من أحدهم كأنه مس بالجن حديثا، ويصرخون بأعلى أصواتهم أين هي؟

تلك الـ..... سكن كل شيء في المكان وذعروا من العبارات المتتالية والتي أطلقوها في فناء هذا المكان المقدس دون مراعاة لحرمته- وهم يكيلون شتى السباب والشتائم والعبارات النابية.

لم تتجاوز ربيعها الثامن عشر عند القبض عليها واقتادوها إلى السجن! بحكم نشاطها المعادي، ولباسها الذي يثير الانتباه، هي ابنة

السجن رقم 87 المثير للقلاقل داخل المجتمع، ذو السوابق العدلية – حسب زعمهم – وتصرفاتهم مع من يخالفهم دوما.

اقترب منها وهي واجعة صامتة لم تحرك شفتيها، ومتأكدة أنها يقصدونها – كانت فارهة القامة ومن بعيد تظهر متسمرة في الطابور وملامحها توحي بذلك وبرباطة جأشها وشموخها المعروفة بها، فهي مضرب المثل في الأخلاق والاجتهاد عند الأساتذة وزملائها، وتعدى ذلك إلى كل من يعرفها من جيرانها ومن يتعامل معها! أشار إليها ثم وضعوا القيد في معصمها وهي لا تقاوم، بل تلقى عليهم نظرات حادة توحي إلى ما بعدها، واقتادوها إلى السيارة.

السجن مختلط مريدوه الأصناف الثلاثة – الرجال والنساء والأحداث: سجن شمولي وضع خصيصا بهذا الشكل؟ حيث يتقاسمه السجناء كما يلي: في الرواق الأول الرجال ثم الأحداث ثم النساء في الرواق الأخير.

جلست وهي مقيدة تنتظر غير بعيد، مرت في دهليز مؤدي غلى رواق الأحداث، في طريقها شاهدت عدة غرف متقابلة بها نوافذ صغيرة، ولأن نظرها حاد، مكنها من سرقة بعض ملامح الوجوه داخلها،

سقطت منها دمعة لما رأت أن والدها يشير إليها بالتحية، ولحيته الكثيفة التي تكاد تخفي ملامح وجهه؟! قامت بحركة تثير الشفقة إصطنعت التعثر وهي تلتفت إلى النافذة لتلقي نظرة ثانية عليه، ولكن صادف مرور أحدهم وتوقف لحاجة في نفسه؟، فقامت بعد نهرها وواصلت مسيرها إلى حيث تقضي ليلتها.

***

وقف الجميع مذهولين من الحادثة التي وقعت في فناء مدرستهم! وعلامات الحسرة والتعجب والألم بادية على وجوههم، همست إحداهن لزميلتها تستطلع الأمر؟ ردت بنظرة حزينة وتمتمت هامسة بكلمات، ثم انتبهت ليد ضربت على كتفها أن إلتحقي بالطابور فهرعت مسرعة وغابت فيه.

إنها ليلتها الأولى في السجن قبل الحكم عليها والمقرر غدا وهي زنزانة مخصصة للأحداث في مثل سنها وأقل.

***

استقبلها السجانة بوجه لا يحمل في طياته وملامحه أدنى علامات الإنسانية، من نظرات عيناها الواسعتان السودوان وشعرها الكثيف

المتدلي على كتفها وشواربها الغليظة التي لم تخفيها أية مساحيق، وصوتها الخشن الذي يوحي بصوت رجلوا في هيكل امرأة، تقدمت نحوها وأشارت بأصبعها وأمرتها بالدخول إلى الغرفة وتغيير ملابسها، بعد أن رمت على الارض كيس الملابس وقالت لها، هيا إلبسي أيتها الـ.....

وقفت هنيئة ونظرة الكبرياء بادية عليها، فلم تعرها السجانة اهتمام، بل جذبتها من يدها حتى كادت أن تسقط على الأرض وغلقت وراءها الباب.

اتجهت صوب السرير الحديدي والنور خافت لا يكاد يضيء ما حوله، مررت يدها وتلمسته فأحست بقشعريرة برد تلفها، إلتفت حول نفسها عساها تخفف منها، فبقيت الأمور على حالها لأن مستلزمات النوم لم تسلم لها بعد هذا هو النظام والقانون فما عليها إلا الانتظار وهي البداية ومازال الباقي قالت: تحدث نفسها، وهذا هو التعذيب الأول في الأصناف التي ستنالها هكذا هي تتصور وتدرك الأحداث قبل وقوعها.

رفعت رأسها لتلقى نظرة على السقف حتى ضنت أنه سيقع عليها من كثرة التشققات وقربه منها، أما الجدار الخلفية المقابلة لباب توجد نافذة صغيرة تشبه حفرة ثعلب في صحراء بعيدة وموحشة، ويتوسطها قضيب حديدي وهي مفتوحة دوما، والخطوط والرسومات والنقوش على الجدران كأنها لوحة فنان.

***

طال غيابها عن المنزل وبدأت الخوف يلج إليها وكثرت الأسئلة لديها وتزاحمت الإجابات والأفكار لكنها لم تفكر أبدا بأن تلحق ابنتها بوالدها فأزاحت هذا التفكير من مخيلتها، فراودتها أمور أخرى وطرحت عدة أسئلة وهي تنتظرها بفارغ الصبر.

سمعت طرقا خفيفا، ونهضت مسرعة وهي تردد أني قادمة يا حبيبة أمها، وعندما اقتربت أكثر من الباب قالت لها: لما التأخر بنيتي؟ ثم أشرعت الباب كالمعتاد لاستقبالها، وقفت أمامها صامتة – إحدى زميلاتها وهي تحمل أغراضها.

وتلاحقت الأسئلة دون ترتيب ما الأمر؟ وما وقع لها؟

أين هي الآن؟ هل أصابها مكروه هيا أسرعي أرجوك ثم قالت: هل هي في المستشفى؟

توقف الكلام لديها واغرورقت عينيها بالدموع! فصاحت الأم هل ماتت؟ أخبرني.

فردت وهي لا تكاد تجمع الكلمات لقد... ماذا؟ لا تقولي إنها ركبت مغامرة البحر وهجرتنا وهربت مع الكثير من بني جلدتنا؟

لا لا يا عمة، وصرخت دون أن تدري بصوت عالي: التحقت بأبيها.

انهارت الأم وأغمي عليها بعد سماعها خبر اعتقال ابنها – لأنها تعرف جيدا أسلوب تربيتها فهي مسالمة وتبغض الظلم والاحتقار وهذا ما ورثته عن أبيها من قبل أيضا.

***

تجمع في البيت العائلي نزر قليل من الأقارب والأحباب للمواساة والتخفيف عليها والمآزرة في هذه الفترة العصيبة تناهي إلى سمعهم طرق عنيف ذهب أحد الصبيان ليفتح الباب فعاد ووجهه مصفرا من الخوف والذعر الذي أصابه ووراءه قد انتصبوا أمامهم في مشهد

استفزازي وتحدي صارخ على حرمة البيت ومن فيه، وطلبوا منهم المغادرة فورا، تفرق الجميع كل أخذ وجهته.

تغيرت حال ابنها الصبي وبدأت تسوء، نام ليلته هو خائف ويصرخ أمي لقد جاءتني الأسود وتحمل في يده عصاة كبيرة اختلطت عليها الأمور وغاب عنها التفكير السليم، فالمصيبة عظيمة – أصبحت وحيدة – فهم في السجن تحت طائلة العذاب وصغيرها من شدة ما روع أصابه المرض نتيجة صدمة المشهد حتى أصبح لا يقوى على شيء كأنه خرقة بالية، لا دخول إلى المنزل أو الخروج منها إلا بأمر؟

إنها تعذب نفسيا، من أمر مسلط عليهم جميعا بواسطة "الكابوس" الجاثم فوق رقابهم.

خطف الموت من كانت تواسي به نفسها وتحادثه وهو لا يفهم ما تقوله، بل كانت ترى فيه والده وتبشره بأيام سعيدة – حتى أنه في إحدى المرات قال لها ماما: أريد تقبيل أبي؟ حز في نفسها كيف تتصرف معه، وهي تفكر قال لها: ها هي صورة ابي موضوعة فوق الطاولة سأقبلها وعندما يأتي أكرر القبلة، سقطت دمعه على الصورة فقال لها لماذا يا أمي أتركيها نظيفة، مسحت دموعها خفية عنه،

واصطنعت ابتسامة فرد ببراءته بابتسامته المشرقة، فسرقت من حزنها وألمها لحظات للفرح دون أن تدري!

أضحت اليوم وحيدة وتندب حضها، بعد أن خطف المنون ابنها وغيب السجن زوجها وابنتها، والسجان يحاصرها ويطارد كل من يواسيها، ليزيد من لوعتها وحرقة نفسها، كانت تواسي نفسها وتناجي ربها – لعل الفرج قريب ويلتئم الجرح وتجتمع الأسرة من جديد، فأملها لا ينقطع هي صابرة ومحتسبة أمرها للقضاء والقدر.

وصلها إخطار بتسديد قيمة الإيجار والتي تراكمت بعد سجن زوجها، ونفاذ ما تملكه من نقود بالرغم من بيع السيارة الخاصة بزوجها نتيجة للظروف المادية التي كانت تعيشها، لتشتري الدواء للزوج وتعيل نفسها، وبعد أيام قلائل وجدت نفسها خارج البيت، وتبحث من جديد على مأوى، وهي تفكر تقدم منها وطلب منها أن تتبعه لأنه يملك منزلا للكراء، في البداية أوجست من خيفة ثم تبعته مرغمة، بعد خطوات قليلة أشارت إليها بالذهاب إلى ذلك المنزل وسلمها المفتاح – حتى قبل أن يتفاهما على قيمة الإيجار – أوقفت شاحنة كانت مارة في الطريق لتحمل عليها أغراضها الملقاة على

الأرض في الشارع العام دخلت مسكنها الجديد وهي لا تعلم أن المتاعب ستلاحقها من جشع وعجرفة صاحبه، عاد مساءا وطلب منها مقدما للإيجار وقال لها: منزلي ليس سكنا عمومي بل هو خاص وإيجاره لا يمكن أن يتعدى ما قمت به في المسكن العمومي، قدمت له مقدم ثلاثة أشهر مسبقا.

الفصل الثاني:

كم فرحت مكرهة وهي تسمع صوت السجانة، تصرخ هيا إسرعي يا..... والشتائم تنهال عليها، ثم تأمرها باستلام غطاء وبطانية، ويالها لم تستلم شيء في هذا الليل البهيم، انحنت ومدت يدها فواجهتها رائحة لأول مرة فزكمت أنفها برائحة لا تطاق تشبه وما ينتج عن جيفة حديثة – والليل قد انتصف بظلمته الحالكة، أوت إلى ذلك السرير المتهالك واستلقت على ظهرها والحزن قد راودها من جديد بعد فرحتها المصطنعة، وهي تجذب الغطاء، سمعت صوت يوحي بفتح الباب إنها السجانة تقدم بقية طعام كوجبة عشاء والوقت متأخر – حتى أنها نسيت أنها جائعة فهي لم تذق طعاما منذ فترة– أرادت أن تتذوق ما قدم لها – ففاحت رائحته الكريهة المقززة عافته وأبعدته، وقفت أمام الباب ومن نافذته تطلب طعام غيره – فردت عليها السجانة باستهزاء ومكر حاضر، انتظري قليلا لأن الطباخة تعد لك خصيصا ثم راحت تقهقه، وأردفت قائلة:

وأنت بنت من؟

كلي أو موتي جوعا! وعطشا! في هذه الأثناء دخلت السجانة المناوبة وهي حديثة العمل بالسجن لتتولى العمل خلفا لها.

ها قد جاءت أخرى أطلبي ما تشائين أيتها الـ..... الشتائم والسباب تصم أذانها وتعودت عليها.

***

أصبحت الأم تعاني الأمرين فقدان المعيل والسند ولحقته ابنته، وما زاد الأمر سوءا انقطاع زيارة الأقارب والأحبة لأوامر صادرة من إدارة السجن!.

المضايقات الكثيرة التي تتلقاها ألزمتها بيتها وأصبح الخروج محدودا جدا، وشعورها باليأس من شدة المتابعة اللصيقة لها، فهي كالسجينة محدودة الحركة وفاقدة لحريتها.

***

أهلا حبيبتي! كم عمرك؟ وماذا ذنبك؟

وابتسامة ظاهرة على شعرها؟!...

زفرت بقوة وتنهدت حتى أثارت انتباه الغرف المجاورة والمارين في الرواق.

لقد جنت؟ سمعت إحداهن تقول وأخرى هي تصطنع الألم والاضطراب وثالثة كلا إنها علامات ترحيب بسجانتها الجديدة؟!...

لقد سمعت حوارهن وهي تحدق في سجانتها الجديدة ذات القامة الفارهة والجسم الممتلئ وعيناها الواسعتان وشعرها متدلي وراء ظهرها.

استفاقت وهي تناولها صحن عشاء ساخن وبكلمة لم تعهدها من قبل بلباقة تفضلي يا زهرة النرجس! تعجبت من تغير المعاملة.

ردت عليها شكرا وهي متلعثمة، وتبادر إلى ذهنها حديث أمها عند زيارة والدها أول مرة إن ما يقدمون من طعام للسجناء عامة، وخاصة من يحمل أفكار تناوئهم ولا تجانب صفهم يضعون فيها الأدوية المخدرة وبعض السموم، يسهل عليهم إثبات التهم والإصابة بالعاهات والأمراض، وفي النهاية الموت المؤكد والاضطراب النفسي والعقلي، إنه لا يتناولها بل يرميها ويسد رمقه بما جادت عليه زوجته من أغذية معلبة، وهو ما جعل من الرجل ذو البنية المتينة والقوية شبح وهيكل عظمي لا يكاد يقوى على الحركة مع صنوف التعذيب الذي يتلقاه شبه يوميا.

قالت لها السجانة: هيا تناولي عشاءك ولا تخافي شيء، ثم قالت، هل أسأت لك بكلمة أو حركة؟.

الساعة كانت تشير إلى الثانية صباحا تضورت من الجوع وكاد يغمى عليها وسقطت على الأرض، هرعت إليها السجانة، وأعطتها الماء فاستفاقت ثم وضعتها على سريرها، وبدأت تناولها عشاءها وهي لا تقوى على الجلوس من شدة الجوع والسهر – الذي لم تكن متعودة عليه – ثم استسلمت إلى نوم عميق خرجت السجانة وأغلقت الباب بإحكام حسب الأوامر.

في حدود الساعة السابعة صباحا تنبهت على صوت مزعج ينذر بالاستيقاظ من النوم، تسمرت واقفة من هول الصوت الذي سمعته أول مرة، إنه صوت الجرس يقرع للسجناء، ثم طلبت منها السجانة مرافقتها إلى مكتب التحقيقات أثناء سيرها في الرواق المؤدي للمكتب وهي مقيدة في معصمها مع السجانة، طرحت أسئلة على نفسها وبحثت لها عن إجابات ترى ما التهمة التي حبست من أجلها؟ كيف تتم طريقة التحقيق؟ بالعنف أو بالمراوغة والأفخاخ أو التعذيب المتصاعد؟ وهي بين ايديهم لا تقدر على شيء، فكل ما حولها في

صالحهم! اقتربوا من غرفة مكتب المحقق فشاهدت بأم عينها كيف يجرون السجناء ولا يقوى على المشي حتى أن صوت جره على البلاط أحدث لحن مميزا، أمرت بأن تنظر في الغرفة المجاورة والمقابلة لمكتب المحقق، فك عنها القيد وجلست على مقعد خشبي تنتظر دورها، سمعت صدى صوت يصرخ بشدة بعيدا عنها، ولكنه يقترب شيئا فشيئا إلى أن أصبح كأنه أمامها شخص يعذب ولكنها لم ترى شيء، فهمت منه أنه لإخافتها وترويعها قبل بدء التحقيق.

دخلت إلى مكتب المحقق الذي كان يجلس خلف مكتبه وأمامه كومة من الأوراق مختلفة الألوان، وبعد أن أصبحت أمامه طلب منها الجلوس دون النظر إليها وهو يتفقد أوراقه كأنه يبحث على شيء، ثم قال لأمين مكتبه وهو شاب في مقتبل العمر أكتب في التقرير كل ما تسمعه.

الاسم الكامل – العمر – العنوان – الأب والأم والتهم الموجهة لها:

عصيان أوامر، والتظاهر بدون ترخيص اللباس يدعوا للطائفية، بقيت صامتة مطأطئة الرأس خائرة القوى مشتتة الأفكار مع قلة التركيز.

أكتب ملاحظة:

الاب: متهم كذلك وبقضايا أكبر.

انتهى التحقيق.

أكتب الساعة والتاريخ التوقيع.

قال المحقق لها: أمسكي القلم ثم وقعي!.

وطلب من السجانة الحضور لمرافقتها والعودة بها إلى غرفتها، عندما فتح الباب أين تجلس لمحت سجانتها الأولى قادمة، فسكنها خوف وقادتها إلى حيث تسجن، لم تبادلوها بأي كلمة ما عدا أدخلي ثم أوصدت الباب خلفها.

أخذت جرعة ماء من قارورة كانت بجانبها، ورشفت رشفت من القهوة المعدة مع فطور الصباح- وهو عبارة عن قطعة خبز جبن وكأس من الحليب الممزوج مع القهوة بدت كأنها نبحث عن شيء وتنازعتها الأفكار، لقد نسيت ربما وضعته في كأس القهوة، أرغمت نفسها أن تتناول فطور صباحها لأنها لا تقوى على التركيز وكل شيء يدور من حولها لقد فقدته؟.

وتساءلت من سرقها؟ إنها لي ثم تذكرت وضعها في جيبها، أخرجتها ثم وضعتها في الكأس والنشوة والفرح تتراقص أمامها.

***

دخل السجان ومعه عربة يجرها ممرض، لقد سقط مغمى عليه من شدة الهزال الذي لحق به، وإضرابه عن الطعام المستمر، حضر الطبيب لفحصه، فأمر له بتناول مقويات بجرعة كافية، وأن يوضع تحت المراقبة والعناية المركزة.

أوصد الطبيب باب مكتبه ثم تنهد وتأوه قال محدثا نفسه أيعقل لرئيسه في العمل سابقا، أتسوء حاله وهو يعرفه تمام المعرفة، بأنه مثابر ومتفاني في خدمة المرضى ويتعامل معهم بكلام لطيف، وكل من له علاقة به أو اقترب منه في العمل يذكره بالود والاحترام.

ساعتها تحركت أحاسيسه وشعور بالخزي، فقرر أن يترك العمل، ويذهب لحال سبيله إلى هناك وراء شاطئ البحر؟.

نزل عليها خبر زلزل كيانها وزاد من أحزانها وعظمت المعانات معه، والقلق يصاورها، وأظلم الوجود في عينها، ولا تعرف ماذا تفعل أمام هذه المعضلة والأمر الجلل؟ فوجدتها معتقلة منذ شهرين ولم تكحل

عينها برؤيتها، أتى زوجها المغيب لـ 10 سنوات خلت، أصبح لا يقوى على الوقوف وبصره أصبح شبه معدوم، ويداه ترتجفان لا يستطيع حملها، وهي في عقدها الخامس.

طلبت إدارة السجن من الزوجة الحضور اليومي لتتكفل به، وضبت بعض أغراضها وانطلقت إلى هناك حيث تزيد المآسي والمعانات وكأنها سجينة وتردد دوما هذا قدري؟

***

في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحا دخلت السجانة، تحمل في يدها ورقة لا تعرف مضمونها، لأنها عبد مأمور – هذا ما تقوله للسجينات – وأمرتها بالتوقيع، وسلمت الورقة وهي تنتظرها هيا اسرعي لا وقت لدي، لم تمهلها قراءة مضمونها، رغم المضايقة تمكنت في فهم المحتوى لقد أثبتت التهمة لها!.

***

ساءت حالته أكثر، لقلة الاهتمام، فصحته معتلة مع القعود ونقص الحركة، ينتابه من حين لآخر الإغماء وفقدان الوعي، دخلت تجره في عربة متهالكة إلى قاعة العلاج، وهي تدفعه أمامها ولا تكاد تقوى على

ذلك للإجهاد والتعب الذي تعانيه – لقد وصلت للتو بعد أن قطعت مسافة مشيا على الاقدام بين بيتها والسجن الذي يقع في أطراف المدينة، حتى العرق المتصبب على وجهها لم يجف بعد هذا قدرها الذي تكابده هي عبارتها التي ترددها لتواسي نفسها لتخفف من لوعة الحرقة والشعور الساكن في أغوارها.

جاء دوره للفحص مدد على السرير عبارة عن جثة هامدة، لولا حركة عينه البسيطة والدمعة الساخنة التي سقطت حديثا لا عُد من الموتى !!...

ابتلعت ريقها وزفرت زفرة خفيفة، ثم تمتمت بكلمات غير مسموعة، ومن إشارة وحركات يديها وملامح وجهها تدل على مغادرة الطبيب المستشفى على عجل لأمر يخصه، والطبيب المناوب لم يخصر بعد، لأن مدة مناوبته تبدأ بعد ساعة من الآن فعليها الانتظار وقت أكثر؟.

تنحت جانبا وجلست على مقعد خشبي قبالة زوجها الممد على سرير الفحص، مر الوقت ثقيلا وهي تنظر إليه وهو في هذه الحالة الصحية المتردية، حتى دخل الطبيب المناوب، ويا ليته لم يكن طبيب المداومة في فحص زوجها، لقد ولج قاعة العلاج والزبد والرغاء يتطاير من فاه،

والشتائم والسباب المتواصلة سيد الموقف، حتى المعاونين له أحسو بالتقزز والقرف من كثرة ما سمعوا -حالته غير طبيعية فهو ثمل لا يكاد يحمل جسمه من شدة ما تناول من كحول- حتى أنه يتمايل لفقده بعض التركيز!!!!.

هالها المشهد وهي تراقب ما يحدث أمامها، فبدا عليها الاستغراب والاستهجان – كيف لطبيب في هذه الوضعية المزرية فحص المرضى، سمعت صوتا يناديها فاتجهت نحوه إنه السجان يأمرها بمغادرة قاعة الفحص، ليقوم الطبيب بعمله المنوط به!.

أنهكها التعب فما تكاد تصل إلى قاعة الانتظار فارتمت على أول مقعد صادفها في طريقها ثم أخرجت قارورة ماء من كيس تحمله في يدها بللت ريقها الذي يكاد يجف، استرجعت بعض أنفاسها وتفكيرها منصب على الحالة الصحية لزوجها المتدهورة وحالة الطبيب المعالج غير الطبيعية قالت وهي تحدث نفسها: أن لهذا الطبيب معالجة المرض فالأولى معالجته من الإدمان – وهي دوما تردد عبارتها المشهورة والمعتادة هذا هو قدرها.

***

عادت السجانة وطلبت منها مرافقتها إلى مكتب المحقق مرة ثانية – بعد إثبات التهمة – جلست غير بعيد عنه، ثم بدأت الأسئلة الأولية الروتينية، وحين وصلت للسؤال الصادم لها ألا وهو مستواها الدراسي، توقفت عن الكلام وعيناها في الارض، ثم أجابت حرمتوني من دراستي وأردتم تجهيلي ومحو أمنياتي، وأردفت قائلة بنبرة عالية لن تستطيعوا كسر إرادتي ولا هدم معنوياتي، دخل في هذه الاثناء مسؤول كبير، وعرف صلب الموضوع في حينه، فانتفخت أوداجه واحمر وجهه وثار غضبه وحنقه وردد أنى لها هذا التحدي والإصرار، سترين ما يسرك أيتها الحمقاء قالها بأسلوب استهزائي وتهكمي.

أمر المحقق بنقلها إلى عنبر التعذيب، ناد السجانة وقال لها إلى هناك؟ لغة أهل السجن أي سلميها إلى "فريق الموت" كما يحلو لهم تسميته – نسبة إلى كثرة التعذيب المميت.

***

كل شيء يوحي بأن الزوج أنهكت قواه وخارت، فأصبح لا يقدر على فعل ابسط حركة، آه لقد سلمته "فرقة الموت" نتيجة التعذيب وصنوفه المتعددة.

حكى لزوجته في أيامه الأولى باغتضاب عن معاناته لأنه ذو أنفة وعزة وهمة عالية لا يظهر ضعفه أو هوانه لأحد، جرئ في قول كلمة الحق، ولا يتردد أبدا، وهذا ما سبب له ما يقاسيه الآن!.

قال لها: أحضروا ماء ساخن في قدر وعلقوني بحبل من قدماه إلى السقف وينزلون تارة ويرفعون أخرى لساعات في عز فصل الصيف، العرق يتصبب من شدة الحر المزدوج.

تنهد بقوة وقال أيضا: هذا أقل عذاب، آه لقد نسيها من كثرتها وتنوعها فكان الصعق الكهربائي وتجريدي من ملابسي ولا أقول شيء آخر!.

كانت الزوجة تبكي بحرقة وحزن وألم لصنوف التعذيب الذي يلقاه، لكنها صابرة ومحتسبة أمرها للقضاء والقدر، هي السنوات المنقضية التي قضاها بين جنبات السجن، ألم مع التعذيب، لقد حولوا حياته إلى جحيم لا يطاق بعد أن كان مضربا للمثل ويشار إليه بالحنان في تفانيه ومعاملته الحسنة وخدمة زبائنه على أكمل وجه في المستشفيات التي زاول العمل فيها، قبل فتح عيادته الخاصة، فتشكل له جمهور عريض

من المحبين والاصدقاء وكان يبادلهم نفس الشعور، فهو محل ترحيب حيث ما حل أو ارتحل.

دخلت الزوجة على زوجها الممد في سرير داخل زاوية من الغرفة، وضعت الأغراض الخاصة على طاولة خشبية الموجودة بجانبه لتقوم بشؤونه وزوجها شبه جثة هامدة، إلا نفسه وبعض إشارات عينه، وحركة خفيفة جدا للقدمين!!!..

***

طرق الباب عدة مرات متتالية وسمعت صوتا مرادفا لهن هيا افتحي واتجهت صوب الباب لتفتحه، فكانت المفاجئة التي لا تنتظرها ولم تخطر على بالها أو تفكر فيه يوما ما بل اعتبرت ذلك من المستحيلات، لأنه ذو صفات وأخلاق حميدة وكريم وبالمختصر المقيد فكرت وقالت لابد أن هناك طارئ حدث، فجالت بخيالها أفكار عدة لعلها تجد حلا مناسبا يخرجها من هذا المأزق لطلب صاحب الدار؟

***

استقبلوها وإشاراتهم وإيماءاتهم توحي بالمكر والخداع، قال أحدهم مرحى صغيرتي ثم قال أهلا بك أيتها الحمل الوديع وسخر آخر من

كلامه بقهقهة عالية مفادها الاستهزاء والاستقواء؟ فتدخل ثالث وهو يحمل شيئا في يده وصرخ بصوت مرتفع ماذا تنتظرون ايها الحمقى إلى العمل وتنفيذ الاوامر وإلا مصيركم تعلمونه أكثر مني.

وقف أمامها وقال لها، أنت كذا وكذا وهو يقصد لائحة الاتهام الموجهة لها، فلم تنطق ولو بكلمة واحدة ما عدا إشارات نظرة عينها الدالة على التحدي والإرادة الفولاذية التي تمتلكها ثم أردف قائلا: فأنت عندي سيان صمتي أو نطقت وكال لها عدة أوصاف حركت كيانها وشعرت بأسلوب الإذلال والاحتقار من ذلك الوصف، أمر فريقه بإحضار مستلزماته لهكذا حالة!.

تقدم نحوها والشرر يتطاير من عينه والزبد من فمه والرغاء يصاحبه – لست في معرض تمثيل أو مشهد مسرحي وتناوله من طاولة خشبية بجانبه وصوبه نحوها لإرهابها، لكنها لم تحرك ساكنا، ليظهر ضعفها أو هوانها، سدد رمية بين اقدامها ليخفيها، بقيت صامدة أعطاه للسجانة – ليتمتع بالمشهد حسب قوله – ولتبدأ فصول المسرحية.

***

عاد الطبيب إلى قاعة العلاج ليفحص مريضه؟!

والسجين على سريره مغطى بلحاف أبيض -كانه فراش فوقه من شدة ضعفه وتدهور حالته الصحية- وقال الطبيب بأسلوب التهكم أين المريض؟

قال ممرض بجانبه وقد مد يده نحو السرير وأراح الغطاء هذا هو سيدي.

تعجب الطبيب من هذه الحالة وقال: لفريقه الطبي اجمعوا أغراضكم، إن حالته ميؤوس منها ثم قال أتركوه يتعذب أكثر ليفارقنا بهاته الحالة.

***

تشتت تفكيرها، وأصابها الضعف لكثر المعاناة، المآسي المحيطة بها من كل الجوانب، وحيدتها تقاص في السجن الانفرادي وتذوق صنوف عدة من التعذيب وزوجها يعيش أيامه الأخيرة وأصبحت أيامه معدودة، وهي تقوم بشؤونه في السجن، وصاحب الدار يتردد عليها، وهي في حيرة من أمرها، تريد أن تخرج من هذا المأزق الذي رمته فيه الأقدار، توسلت لصاحب الدار وطلبت منه أن يمهلها بعض الوقت الإضافي، ويخفف عليها تهديده بأن يرميها في الشارع؟!.

لبى طلبها لعلها تجد حلا وتنفذ له شروطه.

***

اقتربت من السجانة أكثر، وصرخ في وجهها هيا أيتها اللعينة فلتبدئي وإلا تأخذين مكانها رفعت السوط إلى الأعلى وأنزلته ببطء، تعجب منها ونظر إليها باستهجان وقال لها:

تنحي جانبا سيكون حسابك عندي، ثم جذب السوط بقوة من يدها فسقطت على إثرها، وارتطامها بالجدار مغشي عليها.

أما تلك الحمامة فقد انتابتها قشعريرة وأرادت أن تخفيها ما استطاعت، لفضاعة المشهد، فسخر منها وبعث ضحكة المنتصر وقال لها: ها أنت قد تملكك الخوف والهلع والسوط لم يلمسك بعد أيتها اللعينة البائسة وأردف قائلا: ستذوقي اليوم الوجبة الأولى، لتعرفي معنى ما اقترفت من ذنب وعدد لها تهمها – المصاغة في ورقة وضعت على مكتبه.

***

كان الليل قد تناصف والظلام دامس يخيم على المكان، والبرودة تلفه، وحركات بعض الأشجار خفيفة لوجود نسمات باردة، عند وقوع أمر جلل هز أركان المنطقة، وأحدث ذعرا كبيرا لدى ساكنيها، خرج جمع

من الناس لاستطلاع الأمر ولا تكاد ترى وجههم الآن الإنارة ضعيفة، ما عدا إضاءة بعض السيارات التي هرعت لموقع الحدث، لقد سمع دوي انفجار شديد بالقرب من منزلها.

ارتعدت فريستها وتمالكها الخوف من شدة ما سمعته، فأسرعت إلى النافذة لتستطلع الأمر، شاهدت أشخاص كثر وأصوات مرتفعة ومختلطة لا تكاد تميز وكأنهم أشباح لوجود الظلام، استجمعت قوتها وتلحفت وبادرت بالخروج – مدت يدها لتفتح الباب فسمعت صراخ وعويل إنها هي (تكررت عدة مرات... تلك المرأة! لا لا.... إنه رجل من لباسه وملامح وجهه.

تقدمت خطوات إلى الأمام، شاهدت منظرًا لم تعهده من قبل، هي صفوف منتظمة ولباسهم موحد ويدهم على الزناد، ثم تنهدت وقالت: (بصوت مسموع) مالأمر؟ انتظرت الإجابة بل أمرت بأن تعود من حيث أنت وتلزم بيتها.

تنفست السعداء لأن صاحب البيت لا يأتي اليوم، فالمكان محاط وليس هناك دخول أو خروج من المنطقة نتيجة لما وقع البارحة، حتى تعرف حيثيات الحدث وتتم التحقيقات الأولية.

ذهب إلى حيث يرقد زوجها في سريره لتخدمه وترعى شؤونه، أحضرت المستلزمات وما تعود عليه من أدوية وعقاقير الخ.....!. لقد سلم لها بعد أن تأكدوا من حالته.

آه..... رغم أن حالته ميؤوس من شفائها إلا أنها تواسي نفسها به، لقد أصبح كالخرقة البالية فلا حراك إلا نبضات قلبه، فاتخذتها أنيسة لها! لتخفف من عباء الحزن والتعاسة اللتان كبرا معها بمرور الوقت.

الفجر قد لاحت بوادره عندما تقدمت نحوه وتحمل في يدها كوب الماء ليتناوله دواءه وضعت يدها تحت رأسه لترفعه قليلا شعرت ببرودة غير معتادة لجسمه، تحسست صدره وبعض أنفاسه، فسقطت دموع منهمرة على وجنتيها لقد اسلم روحه – ثم تمتمت بكلمات وهي تمسح ما علق بها من دموع وقالت بصوت مسموع، ها قد رحل الأنيس، فالتسلم روحك الطاهرة.

كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحا عندما سمعت طرقا عنيف على الباب، انتابها خوف ورعب لأنها لم تتعود، عليه وهي غارقة في تفكيرها كيف تقيم مراسيم الدفن! ذهبت مسرعة لفتح

الباب، وأشعة الشمس أرسلت سهامها، وكل الأشياء من حولها مرئية، وإنزاح الظلام الذي كان يخيم على المنطقة كاد الباب أن يتهشم على رأسها من الطرق الشديد الذي لم ينقطع ولو لحظة فتحه دخل اثنان على عجل كأنهما هاربان من مطاردة بوليسية سلم لها أحدهما ورقة وأمرها بالتوقيع، ولم تمهل من قراءة مضمونها وقال الثاني أسرعي ابنها الإ..... وأردف قائلا رغم حالتك البائسة وما تعانيه، وتقوم بهكذا أعمال.

فأنت متهمة بالإيواء والتخطيط للأعمال الخارجية عن القانون وقال أيضا كلكم عائلة إرهابية ومصيرها السجن!. لا تخرجي حتى يصل فريق التحقيق ليستكمل لائحة الاتهام، أسمعت أيتها الشمطاء الإرهابية.

أرادت أن تبلع ريقها لقد جف من كثرة سهرها الليلة الماضية رغم برودة الطقس، فلم يكتحل جفنها النوم منذ الليلة قبل الماضية لأن زوجها قد تدهورت حالته وهي في انتظار أن يفارق هذه الدنيا ويتخلص من العذاب.

أما عن هذه الليلة لقد غادرها بعد معانات ومكابدة كبيرة للظلم والاضطهاد الذي ناله في سجنه، دون سبب إنما جرمه الوحيد وكل التهم والوشايات المتعددة التي كان يقتات منها جمع كثير باع ضميره من أجل فتات، وهو يعلم أنه بانتهاء مهمته سيرمى في سوق القذارة وتتلقفه الألسن – لا يستطيع أن يعيش متواريا عن الأعين أو يخالطهم هكذا هي حياتهم النكدة البائسة رغم ما يظهرونه من فرح وسرور!.

رحل وترك وراءه امرأة تلحفها الفقر والحاجة المادية والمعنوية ووحيدة مغيبة في غياهب السجن، لأنها ابنته وجزء منه – لقد علمها ورباها على المبادئ والأصول – تقاسي الحرمان نكاية في أبيها؟

***

أتعتبرين نفسك طائر جارح قالها وهو يهز برأسه وبأسلوب استخفاف واستهزاء.

ثم قال: سأحولك إلى حمامة مجروحة أيتها الـ..... السباب والشتائم المتلاحقة، وأوداجه منتفخة، وعيناه محمرتان كالجمر والشرر ظاهر عليهما، وقال أيضا: إصبري قليلا سأجعلك كبومة تنعق ليلا؟!.

أمر من حوله بإبقاء السجانة والإتيان بأخرى، كانت فارهة القامة خشنة الملامح سمراء البشرة ذات صوت يشبه لحد ما الرجل، لباسها يوحي إلى العجرفة والانتقام.

وضع السوط في الأرض ليذل السجانة ثم أمرها بأخذه، والقيام بالعمل المنوط بها، صرخ في وجهها هيا أيتها الحقيرة ماذا تنتظرين، رفعت سوطها ثم أنزلته بقوة وسرعة على ظهرها وتكرر المشهد سقطت مغشيا عليها، وطلب قارورة ماء وسكبها عليها فاستفاقت، ليتكرر المشهد في فصله الثاني، وهو يرد مقولته: لم تنتهي فصول المسرحية بعد أيتها البومة عفو الحماية وقهقهات – مصاحبة لذلك؟

ظلت صامتة رغم ضربات السوط، وتصبب العرق من السجانة، ثم أمرها بالتوقف ووضع السجينة في زنزانتها.

قال: قبل أن تغادر القاعد ألا تعلمي أيتها البومة؟ أن فصول المشاهد لم تنتهي بعد وقال: في حنق من أمره لا السيناريوا غير مكتمل فهناك أحداث أخرى، ستعجبك قالها بأسلوبه المعتاد، ثم دفعت إلى الزنزانة كالحمامة الجريحة، وأوصد الباب بإحكام – لأن وقع التفجير أثار الرعب والهلع داخل السجن ومحيطه، وتزامنه بالقرب من بيتهم؟ !

غادرها الكرى وقضت ليلتها تتقلب على كل جوانب جسمها والآلام تحاصرها، والسعال ينهشها، والدموع لا تكاد تجف على مقلتيها، ومن شدة الإرهاق والتعب والتعذيب استسلمت للنعاس على البلاط.

فتح باب الزنزانة ودخل رجلين يرتديان هندام أنيق ووسيمين قدما التحية وابتسامة عريضة تبدوا على شفتيها وأمرها بالوقوف مدت يداها نحوهما، استفاقت فوجدت يداها ممتدتين وهي جالسة على البلاط لقد كان حلما!!...

ردت وهي تحدث نفسها، قبل أن تكمل الوقوف، تنبهت على صوت الباب يفتح وقالت لها، إن هذا المكان ليس للنوم ايتها البومة على رأي من في السجن وهي تقصد رئيسها الذي أهانها أمامها.

صوبت نظرها نحو الباب، أهالها منظر مقزز ولا يليق بها، وهي شابة في مقتبل العمر، شاهدت بأم عينها رجلان يكاد يظهر كل جسمها ومفتولي العضلات يقفان على جانب الباب، والخبث والغدر تفوح منهما مع رائحة الكحول التي زادت من تعكير الجو صرخ أحدهما تعالي أيتها الحمامة فقاطعه الآخر بل إنها بومة على رأي السيد.

فقال له: وهو لا يكاد يجمع جملة مفيدة إنها الحمامة البومة هيا إقتربي وإلا صرخت في وجههما أغربا عني أيها الوقحين، تعالت قهقهة من أحدهما وقال: اليوم أخمر وغدا أمر، ودخل في عراك معها وهي تمانع وتصرخ فلا مجيب لندائها إلا السجانة كانت تقول لها هيا إستسلمي وكفى، لقد هزمت بالظلم والاعتداء على شرفها.

***

رحل وترك أرملة تعاني الأمرين الفقر والحاجة ووحيدتها مغيبة في غياهب السجن لأنها ابنته وجزء منه – لقد علمها ورباها على المبادئ والأصول – تقاسي أنواع الحرمان نكاية عن أبيها؟ وزوجة تعيش مرارة الوحدة والاضطهاد.

التزمت الصمت فأضحت كالبكماء من القهر والمآسي المتلاحقة والملتفة حولها، لا تستطيع إزاحتها ولا يوجد من يواسيها او يخفف عنها ثقل المعانات انقطع الجميع عنها ما حادثة التفجير واتهمت بالضلوع فيها، وأثبت هذا كله في محظر التحقيق الأولى، حيث في ثنايا تفاصيل الحادثة أشير في إحدى فقراتها (لوائح الاتهام) أن العناصر المجرمة خرجت من مقر سكناها!. والأصل ان بعض شهود العيان

المغيبين ذكروا عكس ذلك، حيث قال أحد الشهود وهو يسرد ما شاهد لقد شاهدت بأم عيني جثة مرمية في موقع الحادثة وتحمل على جناح السرعة ويؤتى بها قرب مسكنها وأن أحد العناصر الهاربة مر محاذيا للمنزل!.

تم إلصاق التهمة بالإيواء والمساعدة للعناصر الفاعلة للحادثة والمساهمة في هذه الجريمة.

أمر قاضي التحقيق جلب المتهمة لتودع الحبس الاحتياطي حتى يتم معها الاستجواب والتحري في ضلوعها في الحادثة.

نزل من مركبته قدمت للتو وفي يده ظرف وطرق الباب، ففتحت له الباب سلمها إياه وانصرف.

فتحته فزعة قرأت ما فيه تغيرت ملامح وجهها وعلامات التعجب بادية عليها، ثم رفعت وخفضت رأسها إلى الأسفل، وتمتمت بكلمات والحنق يلازمها لقد طلب منها الحضور غدا صباحا ثم مسحت دموعها المنسابة على تجاعيدها الحديثة والتي رسمت على وجهها نتيجة معاناتها فهي لم تتجاوز عقدها الخامس بعد!.

اثارت انتباهها جملة في الرسالة جعلتها تفكر وترسم واقعها الآتي، وأن مصيرها بات مثلهم جميعا، قالت: محدثة نفسها سألتحق بك يا زوجي، تنبهت على صوت مزعج ويصحبه طرق عنيف أربكها وأصابها الهلع، قامت مسرعة لفتح الباب، فوجدته واقفا كالصنم ينتظر ولم يمهلها وقال أين ما إتفقنا عليه؟ ها قد حضرت وليس بوسعي التأخير ولو ليوم واحد وإلا طردت هذه الليلة الباردة ومصيرك الذئاب البشرية، ترجته وألحت عليه أن يمهلها حتى الصباح!

رد لا وقت لدي هيا أفي بوعدك، فأنت وحيدة والظلام يخيم على المكان، طلبت منه أن ينتظرها قليلا خارج المنزل، ثم ذهبت إلى إحدى الغرف وتناولت حقيبة صغيرة فأخرجت منها قطعتين دهبيتين هذا كل ما يتبقى من مال على قلتة وأردفت قائلة هذا كل ما أملك، رق لحالها – رغم أنه معروف بصاحب الطباع الغليظة وحب التملك ولو على حساب الآخرين – فقال لها: غدا سيأتي مستأجر آخر فاستعدي للخروج مبكرا قالت والدموع لا تفارق كلماتها: كيف ذلك؟ وبعض

أغراضي هنا، رد بأسلوب النهم إنها لي تكملة لما تبقى من قيمة الإيجار، بلعت ريقها فهي تعرفه لا يتراجع أبدا حتى على ابسط شيء!.

باتت ليلتها تختار أي من أغراضها على قلتها يمكن أن تحمله والليل قد تناصف، جلبت حقيبة زوجها القديمة المهترئة، وضعت فيها ملابسها وبعض قطع الألبسة لزوجها ووحيدتها – ثم جمعت كومة صغيرة لبقية الملابس وأشعلت فيها النار؟!.

كادت تسقط على البلاط من شدة النعاس، ارتمت على سريرها الخشبي وتمددت عليه، فتناهي إلى سمعها صوت يناديها، فالتفتت إلى ناحية الصوت وإذا به زوجها يحمل في يده باقة ورد والابتسامة على ثغره وفي يده الأخرى علبه حمراء، قامت مسرعة كقطة انقضت على فريسة – تقدمت نحوه فأرادت أن تمسك باقة الورد مدت يدها فاصطدمت بالجدار فأيقظها؟ لقد كان حلما!.

***

باتت ليلتها تحت وقع الصدمة التي حدثت معها، لقد مس شرفها ودنس من الأوغاد، لتكسير معنى الحياة لديها وتهديم شخصيتها، وإهانتها وتعذيبها نفسيا، وتدمير كيانها ودفن تحديها وإرادتها تحت

تراب الفحش والبغاء!. ذهب عنها الكرى ودموعها لا تجف، رغم برودة الطقس وزنزانتها الانفرادية تفرش الارض وتلحق السماء، والأنين مصاحب لتلك الدموع، تسمرت في مكانها دون حراك كأنها صم أعد في متحف لزيارة النزلاء وأخذ الصور معه – تغير المناخ فجئة فصاحبت البرودة رياح قوية أحدثت أصوات من هنا وهناك فدخل من النافذة (الثقب) هواء بارد انتشر بسرعة، فشعرت بنوبة البرد التي دخلت دون استئذان، جعلتها ترتعش وتصطك أسنانها، جذبت البطانية والغطاء ذو الرائحة المقززة وتلحفت مكرهة؟

غير بعيد عنها كانت السجانة تراقبها، وعلامات الحزم بادية عليها لكن لا تشعرها بالعطف والإحسان اتجاهها، لقد صرخت في وجهها وهي تعيرها وتقول لها: لقد كانت ليلة زفافك أيتها البومة عفوا الحمامة، نامي واستريحي غدا يوم جديدا!.

أطفئ النور الخافت الموضوع على باب الزنزانة، زفرت ثم تهاوت والألم يعصر أوصالها ولكن الياس والضعف لم يدب إليها، لأنها تعيش بالأمل القادم؟

غلبها النعاس فسلمت نفسها إليه وهي تفكر في غدها الموعود بالتفاؤل والانتصار على الظلم والمعانات التي تقاسها، وتحمل في طياتها الحلم الجميل والأمل المشرف، لفجر يولد من جديد، مدت يدها لتصافحها لم تستطع حاولت مرات ففشلت، فتركتها وهي تشير إليها بالتحية وتودعها ثم تختفي فجأة.

قالت أمي أمي لا تذهبي خذوني معك لا تتركني وحيدة، سمعتها هي تهذي لقد جنت من شدة التعذيب المسلط عليها البارحة، ونهضت من مكانها وهمت بفتح باب الزنزانة لتوقيضها، لكن شغلها أمر آخر، وطلبها زعيم "فرقة الموت" ان تحضر نزيلة جديدة بعد التحقيق معها.

***

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، عندما ايقظها حلمها الجميل والرائع؟

عادت لتكمل غفوتها، فسبقها التفكير في مصيرها ومصير وحيدتها، والمحاكمة التي ستتم اليوم صباحا، والافتراء والتلفيق والجهوزية للتهمة، وبناء سيناريوا التحقيق لتثبيت العقوبة التي ستسلط عليها جراء ذلك.

فالتهمة الموجهة إليها هي المشاركة والمساعدة في جريمة إرهابية وقعت بالقرب من مسكنها!- حسب النصوص القانونية الموضوعة لذلك – فالحكم في مثل هذه القضايا لا يقل عن عشر سنوات سجن نافذ إن لم يكن أكثر من ذلك حسب الحالة!.

جفل عنها النوم، وأصابها الأرق فتململت في فراشها، شعرت بدوار يثقل رأسها تناولت كوب الماء وحبة دواء عله يخفف عليها الألم، ثم وضعت رأسها على الوسادة لتأخذ لو قسطا خفيفا من النوم يساعدها على مشقة ما ينتظرها لهذا اليوم الكابوس؟ لأنها متيقنة أن نومها سيكون طويلا – هكذا تصورته ونسجته في خيالها نظير ما سرده عليها زوجها في أيامه الأولى لولوجه هذا العالم المظلم (الاعتقال والسجن)؟.

تزاحمت الهواجس المخيفة لديها.

نظرت من نافذة تطل على الشارع خلف الزجاج، فرأت حركة قوية للأشجار على جانب الطريق والمطر تنزل بغزارة مصحوبة بالرعود المتلاحقة المحدثة لأصوات كأنها انفجارات عمت المنطقة، لم تنته إلى الوقت فقد داهمها أكثر فالساعة تشير إلى السابعة صباحا، ومطلوب

منها إخلاء المنزل للمستأجر الجديد بعد قرابة نصف ساعة من الآن، تحركت مذعورة لبست معطفها وغطت رأسها بإحكام – لأن الجو في الخارج بارد والرياح تصاحبه – جرت حقيقتها المهترئة، وألقت نظرة في كل الاتجاهات ربما نسيت شيء ما! – فتذكرت ما بقي هو ثمن الإيجار – وما أدلفت خارج المنزل حتى شاهدت شخصا قادما نحوها، مغطى الرأس ولا يظهر من ملامح وجهه إلا عينه وفاره القامة! اختلجها الخوف، لأن المكان في هذه الأثناء خالتي تماما من المارة لبرودة الجو والمطر المنهمر والرياح القوية العاتية تعم الجهة عند اقتراب القريب منها أكثر زال عنها الخوف قليلا وتنفست الصعداء، إنه صاحب المنزل قدم ليستلم المفتاح لتسليمه للمستأجر الجديد، الذي ينتظر في سيارة الأجرة، وقال لها: قبل أن يتسلم المفتاح هل وضعت ما تبقى من أثاث في غرفة واحدة؟ أجابت بنعم وأغلقت بابها. فسألها مستنكرا. أين ذاهبة الآن؟

قالت هل نسيت أم ماذا؟

سكت برهة ثم أردف قائلا: تعالي لتوصيلك إلى ما تريدين؟ ثم وضع في يدها أوراق نقدية – في الحقيقة المال الذي أعطاه إياها هو ما تبقى من تقييم قيمة الأثاث بعد أخذ مبلغ الإيجار.

قال لها: اركبي هات الحقيبة لنضعها في الخلف، وتوارت السيارة عن الأنظار.

***

استيقظت ووقفت خائفة من الكوابيس والهواجس التي ألمت بها أثناء نومها، شاحبة ومصفرة الوجه، محمرة العينين، منهكة القوى، مشتتة التفكير والتركيز، تترقب يومها الجديد وما يحمله لها من ظلم وقهر بعد أن ذاقت أقصى وأعتى الويلات البارحة والتي لم تخطر ببالها أبدا، حتى كادت تجن وتفقد عقلها وتضطرب نفسها من ذلك الفعل المشين المتخطي لكل الأعراف والقوانين.

جمعت قواها واتجهت إلى باب الزنزانة ثم انحنت قليلا إلى النافذة (عبارة عن ثقب كبير وسط الباب) ولوحت بيدها إلى السجانة وهي مارة أمامها وخلفها امرأة في عقدها الخامس مقيدة اليدين، وهي تآمرها بالإسراع، وتصرخ في وجهها أنتما مثل بعض؟ لم تعيرها أي

اهتمام، رفعت يدها قليلا وطرقت طرقا لا يكاد يسمع، فصادف مرور أحد الأشخاص بجانب الباب التفت إليها ثم ضحك هستيريا وقال أتود أن أعيد الكرة؟ أيتها الحمامة المذبوحة آه بل البومة المقززة، فتعمق جرحها وغار أكثر لقد أنكئه وهو مازال لم يجف بعد، تراجعت إلى الخلف قليلا دون الشعور بذلك فسقطت مغشى عليها، وأثناء رجوعه كان يرد مقطع لأغنية تدل على الاستهتار والتخلي عن القيم والمبادئ، اقترب من الباب أكثر فلاحظها ملقاة على البلاط، هرع مسرعا إلى السجانة وأخبرها بالحادثة ثم ذهب لحاله وهو يقول متى تعاد الكرة أيتها "الحمامة البومة"؟

اتصلت السجانة بطبيب الاستعمالات، ثم فتحت باب الزنزانة ووضعتها على السرير واتجهت إلى قاعة العلاج، بدأ الطبيب الفحص تأكد من نبض قلبها فطمئن الجميع، وطلب من مساعديه حقنها بالمغذي لأن حالتها تستدعي ذلك، مرت لحظات فتحركت جفونها ثم استيقظت وطلبت الماء، لكن الأوامر الطبية أن لا يقدم لها أي شيء قبل ساعة، ومع مرور الوقت أصبحت شبه متعافية تماما ورجعت إلى حالتها السابقة.

حضر الطبيب مرة أخرى ليعاين حالتها الصحية، فتأكد من خلوها من أية إصابة فأعيدت إلى زنزانتها الانفرادية!.

***

وقفت أمام أسوار المحكمة، وهي تجر حقيبتها، اقتربت من المدخل الرئيسي، ودخلت إلى البهو واتجهت مباشرة إلى مكتب الإستقبال فأشار إليها المكلف الذهاب غلى قاعة المحكمة التي وجدتها ممتلئة عن آخرها والأصوات من هنا وهناك والصراخ مصاحب لذلك، بحثت عن مقعد للجلوس، رأت شابا يجلس أمامها، طلبت منه أن يترك لها المقعد فوافق وهو ينظر إليها باستغراب ونظرة تنم على عدم رضاه، سمعت صوت عال هز أركان القاعة – محكمة – وقف الجميع ثم جلسوا.

ناد قاضي المحكمة صاحب القضية رقم 10 تقدم المحامي الموكل بالقضية ورافع وفي الأخير إلتمس لموكله البراءة تهامس شخصان كانا من الشهود أن التهمة ثابتة فكيف يطلب له البراءة؟ بعد فترة وجيزة عاد قاضي الجلسة ليتلوا الحكم وقيل النطق بالحكم ذكر الحيثيات ومرافعة دفاع المتهم، وبعد أن أكمل النطق بالحكم، عم القاعة من

جديد هرج وصراخ في آخرها، واختلط الكلام ببعضه – ظلم حرية بريء!....

وجم الصمت ثانية قاعة المحكمة بعد نهاية الحكم في القضية السابقة، ثم ناد القضية رقم 11 تقدمت بين أروقة كراسي المحكمة إلى أن وصلت إلى المنصة سألها القاضي عن المعلومات الشخصية فوجدها مطابقة لملف القضية قال لها: أين موكلك ليدافع؟

قالت: لم أوكل أحد.

طلب من أحد مساعديه قراءة لائحة الإتهام وسرد الوقائع للحادثة، ثم توقفت الجلسة قبل النطق بالحكم، عاد القاضي يحمل في يده ورقة الإدانة والحكم، ثم قال: نظرا للوقائع والأحداث التي تمت بجوار مسكن المتهمة وإثباتات الشهود، والأدلة المادية المتوفرة لدي هيئة المحكمة الموقرة حكمت المحكمة حضوريا ونافذا بـ 10 سنوات سجن إنفرادي وفورا رفعت الجلسة!

***

ملأ الحقد قلبها وتحجر وهي تعيش مأساة حقيقية، إنهم أرادوا إذلالها وإهانتها وتمريغها في الوحل فهتكوا عرضها وشرفها، لأنهم أوغاد

كالحيوانات أو أكثر لأن الحيوانات لها غريزة فقط لأنهم تخلوا عن المعاملة الإنسانية فأصبحوا كالدواب مات فيهم كل شيء آدمي.

عادت السجانة بعد وضع النزيلة الجديدة في زنزانتها الانفرادية حسب الأوامر، وقدمت لها الغذاء متمثلا في قطعة خبز ومرق بارد وقارورة ماء، وقبل أن تغادر طلبت منها تنظيف الزنزانة لأن رائحتها أصبحت لا تطاق، فضحكت ثم قالت: بأسلوب إستهزائي أمرك أيتها الحمامة البومة، وأردفت قائلة: وهل أنت في فندق خمس نجوم أيتها الحمقاء هذا هو حالك اليوم وإلا..... تعرفي العقاب المناسب، ثم أوصدت الباب خلفها وهي تردد كلام مسموع سيرد إليك هذا المساء ويزيد في..... (لم تكمل ما أرادت أن تخبره بها).

بدأت الأفكار ترد لها تبعات وتساءلت ترى ما هو هذا الخبر؟ وجال بخاطرها أن والدها توفي أو أفرج عنه -لأن إدارة السجن منعت زيارة أمها له منذ قرابة الشهر- وهي الفترة التي توفي فيها والدها ووقوع الانفجار أو معاودة أمها لها بالزيارة!

راودها النعاس فغشيتها غفوة خفيفة، فتنبهت على صراخها وهي تقول لها: سأخبرك أيتها الحمامة البومة، بما يسرك وحركات عينها تدل على السوء، أما هي في قرارة نفسها تنتظر الأسوء والأخبار المفجعة، وقالت: أنها أمك، فقاطعتها أين هي ما بها؟ لم ترد عليها وتركتها تقلب كلامها لتستمتع بتعذيبها وزيادة الضغط النفسي عليها، لعل وعسى أن تكسر بعض من إرادتها وعنفوانها رغم ما تعانيه، وقفت ووضعت كلتا يديها على قضيب نافذة الزنزانة، وهي تترجاها أن تخبرها عن أمها وتقول: هل وقع لها مكروه أم ماتت؟ أرجوك أخبريني، حتى رن الهاتف، عادت إلى مكانها مكسورة الجناح والألم يعتصرها.

***

تطوع محامي من أصدقاء زوجها للطعن في الحكم ولتخفيفه، حضر الجلسة وقدم الإلتماس لإعادة النظر في الحكم الصادر في حقها، وقدم مبررات ذلك، بعد مشاورات وإعادة دراسة ملف القضية بين القاضي ومساعديه؟! أعيد النطق بالحكم بعد قبول الإلتماس، فحدد بـ 5 سنوات نافذة فورا، طلبت هيئة المحكمة من المتهمة الحضور لتأدية

مدة الحكومية، كان السجن لا يبعد كثيرا عن المحكمة، صعدت ومعها متهمون آخرين من كلا الجنسين ثم إنطلقت الحافلة في إتجاه السجن، وجدت في إنتظارها سجانة لم تحترم حتى سنها وقالت لها: وهي تستهزئ بها – مرحا أيتها السيدة ونذر الشرر يتطاير من سحنتها، خذي هذه الملابس (خاصة بالسجناء) وأتبعيني مشت بخطوات متثاقلة وهي تتمتم بكلمات دخل راجلا فخرج ملفوفا بقطعة قماش بيضاء، والهواجس تلفها، ومصير وحيدتها لا يفارقها كظلها، قيزيد من معاناتها ومآسيها والأيام العجاف والصعبة التي ذاق فيها زوجها الويلات التي حولت حياته إلى جحيم ثم إلى جثة هامدة، وتذكرت كيف عاش البؤس داخل السجن!. دفعتها وهي تأمرها وتقول لها! هيا أدخلي، وقفت واجمة وتسمرت في مكانها، فسالت دموعها على أخاديد وحفر تجاعيد بدأت تملأ وجهها، وراحت غارقة في خيالها وحلمها.

***

دخلت عليها السجانة وقالت لها (بلغة المتشفى) لن يزورك أحد بعد اليوم، وأردفت قائلة: هي الأوامر ويجب تطبيقها! -في الحقيقة أن

أمها قد أودعت السجن بعد الحكم عليها؟- من الآن لن ترى أحد إلا..... قالتها وهي تقف أمام نافذة الزنزانة ثم توارت عنها.

شحب وجهها ونقص وزنها كثيرا وتغيرت ملامحها، حتى أصبحت شبه مخيفة – وفي إحدى المرات قالت لها: سجانتها إنك الآن بومة على حقيقتها.

إتخذت من الجدار متكأ وجلسات القرفصاء من شدة الألم المعنوي والعضلي، وهي تفكر في أهلها التي حرمت من زيارتها، ثم استجمعت شتات تفكيرها ورفعت رأسها قليلا نحو السقف أن أمها لبن تراها حاضرًا تعذيب لها لتعترف بجرم لم تقترفه فأرادوا مسها من عطف وحنان أمها أو ربما والدتها مريضة فأوهموها بعدم الزيارة وقالت ستشفى وتعودها قريبا ثم قالت ربما (وهي تحدث نفسها) ربما الحرمان والمرض هو للتضليل وكفى.

فجالت بخيالها عدة هواجس لإنقطاع الزيارة من طرف أمها، ربما ماتت ولتحقت بوالدي او تلفيق تهمة جاهزة لها حتى تودع السجن، لإيجاد مبرر، ثم تذكرت آخر زيارة لأمها حيث قالت لها: قد لا أزورك مرة أخرى يا حبيبتي فتشجعي وكوني قوية ما دمت على حق

ويقين لأن قضيتك ظلم مركب، فمسحت دمعة سقطت بمنديل تحمله في يدها، واصطنعت إبتسامة تنم على الفراق، هنا إستعادت ذاكرتها تلك الحوار، فأحست بحرقة من داخلها ثم رقرقت وتأوهت وتمتمت بكلمات ونالت قدرنا أنها أسرة سحينة، قدمت نحوها السجانة تحمل ورقة، وإبتسامة على شفتيها، وهي معروفة لديها بالتكشير ومقطبة الحاجين سألت في نفسها ترى ماذا حدث؟ إنها أمر بالبراءة أو شيء آخر، ولم تتسلم الورقة بعد.

***

سلمت الورقة وقالت لها: إقرئي المضمون لتعرفي ما يسر أيتها الحمامة عفو البومة؟ ثم قالت لها: أتمنى أن لا يصل قهقهتك إلى خارج أسوار السجن، فيطرب الجميع ويعشوا فرحا ويتحول إلى قاعة حفلات ثم أغلقت الباب في وجهها.

فصل الشتاء بدأ يجمع أغراضه عندما أدخلت السجن، بات ليلتها في الزنزانة رقم 9، ألقت نظرها في جميع الإتجاهات لم تشاهد شيئا ماعدا إضاءة خافتة تدخل من نافذة الباب، إتجهت نحوها لعلها تشاهد أي شيء متحرك، والصمت سيد الموقف، تناهى إلى سمعها أنين ظنته

للوهلة الأولى، صوت بومه أو أي حيوان يسكن بالقرب منها في هذا الظلام الدامس، ثم توقف فجأة، ما عاد يسمع شيء سواء صغير الريح الخفيف يدخل من ثقب التهوية مصحوب بهواء بارد والليل قد انتصف عندما أرادت أن تأدي إلى النوم، لعله ينسيها حالتها المزرية التي تعيشها.

مرت الأيام وهي تبحث عن خيط الأمل، لتعرف أخبار ومصير وحيدتها، وما وضعها الآن، كل ما قامت به لم يجدي نفعا، ودب اليأس لديها فكانت كلما تسأل سجانتها ترد عليها بالتسويف، فتوقفت عن البحث والسؤال وتركت أمرها للقدر.

ساءت حالتها وتغيرت نتيجة ظروف السجن، ومرض ضغط الدم والسكري الرفيقين لها، لذا فهي تحتاج إلى متابعة ومراقبة وعلاج باستمرار.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحا، عند إستدعائها للمحقق الإداري والحقيقة الغرض بإحاطتها بحالة إبنتها الصحية لقد تغير كثيرا وذكروها بأنها قالت عنك الحقيقة بأنك قد رسمت خطة للهروب وإحداث فوضى داخل السجن وتمر السجناء.

ومساعديك هم " الارهابيين" أصحاب حادثة التفجير الأخير أمام مسكنك.

زادت معاناتها ولفها حزن عميق – لتلفيق تهم جديدة وجاهزة – لتثبيت الحكم ثباتا على أقوال المكلف بالقضية!....

تمت جلسة المحقق خمس ساعات كاملة دون إنقطاع بتداول المحققين؟ ليؤذن لها بالإنصراف والإلتحاق بالزنزانة. من شدة الإرهاق والتعب لم تتمالك نفسها فاتخذت من الجدران متكأ لتصل إلى الزنزانة قبل الولوج إلى الداخل لمحت شبحا يتحرك خلف نافذة صغيرة، إتجهت ببصرها لعلها تستجمع قواها، وتركز أكثر وقالت: قد يكون هذا الشبح هو وحيدتها، فسمعت صوتا خافتا لا يكاد يسمع ماما..... ماما.. – سقطت دمعة وبفراستها المعهودة رغم المشقة التي تعيشها، تعرفت عليها ثم إنهالت الدموع تسابق حتى أنفاسها وأصبحت كوديان تجري على وجنتيها ثم راحت غارقة في أحلام اليقظة، تنبهت على يد تدفعها غلى الداخل ثم وضعت لها شيء على البلاط، لم تدري ما هو، وبعد أن رجعت لحالتها البائسة تعرفت عليه

هو غذاؤها عبارة عن قطعة خبز ومرق وكوب ماء شعرت بفشل عام ثم أدركت أن دواءها لم تتناوله بعد.

***

لأول مرة تعرف بأن أمها دخلت السجن، ولم تدري ما السبب؟ بدأت تفكر لعلها تصل لمعرفة التهمة أو التهم – كما مرت عليها وتذكيرها لهم بعديد التهم عن نفسها تتحدث- فأمها تقول لها: إن المبادئ لا يمكن التنازل عنها لو بقطع الرقاب – تذكرت هذا والدموع صنعت على وجهها خطوط متوازية، ثم تنفست بعمق، لاسترجاعها ذكريات العز والشرف والإباء التي عايشتها مع والديها، مرت لحظات وأحست بعدها كأنها خلقت من جديد أو لاح فجر صادق.

للحظات وجيزة سكنتها حالتها التعيسة ومعاناتها مع السجن وسجانيه، فاعتراها شعور بالألم والمآسي التي تكابدها يوميا، وما خلفته تلك الليلة من دمار نفسي وإنتهاك للشرف – أرادوا به تركيعها وثني إرادتها ومس تحدياتها – تناولت كوب الماء لأن حلقها قد جف

وهي تسترجع أنفاسها، فبادرتها السجانة وقالت لها: هل عرفتي الخبر السار اليوم؟

ولوحت لها بإشارات تنمو عن التشفي والشماتة، ها قد أصبحتما جارتين وقدمت لها غذاءها وياله من أكل – أصبحت تكره شيء إسمه أكل في السجن – لكنها مرغمة على ذلك، ملأها الغيض إلى أبعد الحدود وما عساها أن تفعل من هذا الواقع الأليم الذي تعيشه لحظة بلحظة، ثم أغلقت السجانة النافذة بقوة وتظن نفسها أنها قد إنتصرت عليها وعلى أمها!...

تقززت من طعامها ورائحته التي لا تطاق، وآثار الوسخ على الصحن، وفي قرارة نفسها متأكدة كل ما يقومون به لهدم معنوياتها وإعدام تحديها وإرادتها، أخذت نفس طويل وتتذكر والدتها النزيلة الجديدة في هذا العالم الموحش والمؤلم، وتسأل نفسها أن لها أن تعيش في هذه الغابة من الحيوانات الآدمية ومعاناتها مع المرض، فهذا العالم قليل الرحمة والشفقة، لقد تبدلت وتجمدت عاطفتهم مع مرور الزمن، فأصبحوا كوحوش كاسرة في غابة برية، فالضعيف يأكله القوي ولا مكان له بينهم.

***

كان غذاءها الأول في عالمها الجديد قربت الصحن إلى أنفها لتشم رائحة الطعام فأنار حنقها وانكمش وجهها وأبعدته بقوة، فأحدث صوتا على البلاط، فجاءتها مسرعة، لتعرف ما الأمر، فقالت لها كلي هيا تناوليه أيتها العجوز الشمطاء، وأضافت قائلة، لست نزيلة فندق هيا تناوليه، وإلا أرغمتك عليه، ولا تنسي تنظيف البلاط من آثار الطعام، وليكن بلعقه بلسانك، هنا تحسرت وتألمت كثيرا وهي تسمع لأول مرة إهانة واستهزاء.

– ما قالته السجانة وهو شعور بالإنتقام منها ومن وحيدتها – أصابها تقزز ونفور وإستولى عليها الإعياء وأحست بأنها قد وهنت وضعفت، والمرض يصارعها وأدركت حينها أن مصيرها بدأ يقترب رويدا رويدا من مصير زوجها.

تذكرت الأيام الأولى له وكيف تغير حديثه نحوها ويبعث في إشارات تدل على الفراق، لأنه كان قبل إتهامه باطلا ومحاكمته الصورية والحكم عليه بالسجن المؤبد، سمع وعايش بعض الأصدقاء والأحبة في نفس الوضعية دخول وبعده الخروج في تابوت هكذا كان يردد دائما

لمعارفه الخاصة لا مفر له إلا بعض إشارات لكي لا تقع الصدمة عليهم، فرسائله المبطنة توحي بذلك مستقبلا طال الزمن أم قصر!...

كان الجو بارد نسبيا عندما تشجعت ووقفت لتطلب من السجانة قارورة ماء، وقالت لها إن ريقي قد جف أريد ماءا، إستدارت في إتجاه آخر كأنها لا تسمعها أو تراها ثم كررت الطلب، قالت لها وهي غاربة عن وجهها إنتظري أيتها الشمطاء!... رددت مرة أخرى أكاد أموت عطشا قالت لها – دعني أكمل ما بين يدي وسآتيك – لقد كانت تلعب الورق – وقالت كفي عني أفسدت علي لعبي، أشارت لها إحدى زميلاتها إرمي لها القارورة لتسكت علينا هاته اللعينة، فتحت نافذة الزنزانة ورمت القارورة على الأرض وهي تقصد إهانتها وقمطها وسحق كرامتها – هكذا قالت لهم وتعالت قهقهاتهن ثم رجعن إلى اللعب.

شربت جرعات من الماء وتناولت دواءها، وانزوت في إحدى أركان الزنزانة، وإفترشت البطانية الكالحة السواد من كثرة ما علق بها من أدران أوساخ، فتمددت مكرهة عليها لأنها مرهقة ومتعبة والإعياء يصارعها، وراحت في نوم عميق.

تقدم نحوها يلبس هنداما جميلا ورائحته تسري في المكان وتبعث فيه الطمأنينة فرحت وسرت كثيرا، وانتابها شعور غريب لم تحس به من قبل مدت يداها له تعانقه لتعيش هذه اللحظة الفارقة والحالمة، وما أن وضعت يدها خلف عنقه، حتى سرى في وجدانها الشعور بالمودة والحب، وقبل أن تكمل العناق، تنبهت على يد غليظة تربت على كتفها، وقالت بصوت مزعج: هيا إستفيقي وقالت لها أيضا: حتى أنت نائمة وتبتسمي يالك من شقية أيتها العجوز الـ.... (لم تكمل بقية العبارة) حتى لا تفسد عليها إبتسامتها وحلمها وهي تستهزئ وتستخف بها، لقد حدث شيء جديد وبأسلوب تنكري – ولكنه واقع جديد بدا يلوح في الأفق.

***

مازال الطموح والإرادة لم تكسر عنادها، رغم فترات تنتابها من البؤس والكئابة عندما تتذكر تلك الليلة المشؤومة – ولكنه قدرها – شعرت وأدركت أن تغير ما قد لاح وفجر الأمل من جديد بزغ، فالمعاملة القاسية بدأت تخف والظروف المحيطة بها في السجن تبدلت سريعا.

تساءلت وهي تحدث نفسها، ربما طرأ جديد وحدث تحولاً في إدارة السجن ومازال في أيامه الأولى أو أي شيء آخر؟ لم تجد الإجابة بعد، كثر مرتادي السجن وحركات للأشخاص من هنا وهناك، تحسن نوع الأكل قليلا فزاد من حيرتها وهذا التحول المفاجئ وإختفت عبارات الإستخفاف والإستهزاء والإحتقار من قاموس السجانة وما زاد الطين بلة والأمر تساؤلا هو صمتها – حتى ظنت أنها أصيبت بالصمم، بل فكرت بعيدا وقالت (وهي تحاور نفسها): قد يكون في الأمر سر، ومفاجئة ستحدث قريبا، في هذه اللحظات تذكرت رغم الخطوات المتشابكة والمعقدة في آن واحد، كلام والدها عندما بدأت تعي معنى الحياة، فهم ما يدور حولها من أحداث ووقائع تنذر بأمر ما؟ حيث كانت تخاطب أمها قائلا ما نعيشه اليوم في هذه الظروف العصيبة والأجواء المشحونة، وياس دب لعقول كثير من الناس، لن تستمر أو يغمر بل إلى زوال، فهي سنة الحياة في هذا الكون، وقال أيضا: قد لا نعيش أو تكون من ذلك الجيل، إنما سيعيشه أبناءنا وآخرين من جيلنا وهي تمر بهذه الذكريات، وصدى الأمل القادم من بعيد يلوح في الأفق، وشعاع نوره الخافت أضاء جزء من كيانها.

الفصل الثالث:

بزغ الفجر الأول من فصل الربيع، وإكتست الخضرة بساط الأرض، والأزهار على أهبة الإستعداد لتبعث شذى رائحتها وعبقها، وقطرات الندى على سفوح الأوراق تنزلق فرحة، وأطلت الشمس وهي ترسل أشعتها الذهبية، ونسيم منعش عم الفضاء ينبؤ بيوم جديد وسعيد، وربضت العصافير تطلق العنان للألحان على أغصان متدلية غير مكتملة الأوراق، وطرب موسيقاها يبعث الأمل ونشوة الفرح والسرور، والسماء صافية تشرح الصدور وتزيد من ولادة الأمل القريب خروجه من رحم الكون؟.

إستيقضت مبكرا على غير العادة، والحركة داخل أروقة السجن غير مألوفة، وتختلف تماما عن يومها السابق، وإختفت مظاهر الصراخ والأصوات والعبارات التي تطلق عادة على السجينات من سب وشتم وإستحقار وإستهزاء... إلخ، تحولت كلها إلى صمت مطبق تكاد تجعل من المكان كمقبرة مهجورة من زمن غابر ونسيا منسيا، راودتها أسئلة كثيرة ومتداخلة وجال بخاطرها أن أمرا ما قد وقع أو

على وشك الوقوع، أرادت أن تستطلع الأمر لم تجد إجابات لأسئلتها، نسيت كل شيء في هذه اللحظات، واستجمعت قواها الذاتية لعلها تصل بتفكيرها إلى رأس الخيط، للتعرف على ما يجري حولها، فالأحداث أصبحت متسارعة أكبر مما نتصور، إختفين السجانات عن ناظرها وتغيرت المعاملة بين عشية وضحاها من السوء والإهانة وإملاءات وتعذيب وتنكيل وإهدار للكرامة والشرف والعفة إلى واد آخر يخالف تماما عن ما كان من قبل.

***

مازالت غارقة في حلمها بعد إستيفاقتها، فحدثت نفسها وهي تقول: ربما الفجر قد قرب، ونسيم الحرية يرفرف حولنا يود أن يأخذنا معه لنعيش في ود وسلام وراحة وطمأنينة، حتى أنها نسيت ما علق بها من آلام وأحزان وهي تعيش لحظتها الممتعة وحلمها من جديد، ثم تنهدت وقالت: آه لقد كان حلما وتساءلت هل لاح فجر الحرية؟ ثم قامت من مكانها فشاهدت حركة كبيرة من خلف باب الزنزانة بين غاد ورائح، وما شد إنتباهها أن باب الزنزانة لم يقفل كالعادة، والسجانة غير موجودة بجواره! وسكنها خوف لعل خطر محدق

سيقع، وقفت مذعورة وتسمرت في مكانها، وزاد من قلقها تغير الوجوه وإختفى أخرى.

إسترجعت أنفاسها وتشجعت واتجهت صوب الباب وأطلت برأسها فشاهدت أن أغلب الأبواب مشرعة، تملكها الخوف أكثر، لأنها ببساطة تعرف معنى السجن جيدا لا لشيء إلا أنها زوجة وأم سجينين، فمجرد حركة تعني الكثير، قد تكون مجزرة تمت أو تمرد حدث هكذا أوصلها تفكيرها، ثم تذكرت حلمها فأنبسطت أساريرها وراحت ثانية في حلمها من جديد وتغيرت ملامح وجهها، وارتسمت إبتسامة خفيفة على محياها وهي واقفة أمام الباب ولم تنس ببنت شفة بعد للغادين أو الرائحين – لأنها تغيرت لديها الوجوه المألوفة والتي أذاقتها مرارة السجن هي وزوجها – تنفست بعمق ثم ذهبت مباشرة إلى مكتب السجانة فوجدته فارغا ما عدا أوراق مبعثرة على الأرض وسطح المكتب وبعض الأوراق ممزقة، وأدراج المكتب مفتوحة، وعلبة السجائر وفنجان القهوة موجودان على سطح المكتب، والكادر الموضوع على الجدار خلف كرسي المكتب قد هشمت وتناثرت كالأشلاء كأنها معركة تمت حديثا.

وقفت والدهشة سكنت كيانها، ألقت نظرة سريعة على الوجوه الموجودة فلاحظت أنهم تقريبا جلهم منبسطين ولا يظهر عليهم أثار حزن أو ألم، بل شاهدت بعضهم يحيي البعض ويتبادلون التحية، ومنهم من يلح على الزائرين كأنهم يبحثون على شيء مفقود! تذكرت وحيدتها عادت إلى المكتب وشاهدت أوراق معلقة على الجدار تحمل أسماء عديدة لم يمسها التمزيق أو الإتلاف تفحصت الأسماء، وتفاجأت بملاحظة على القائمة مفادها تحول السجينة رقم 10 إلى سجن "البرج" بتاريخ سابق مضى عليه قرابة أربعة أشهر.

زفرت ثم قالت بصوت مسموع لمن حولها: أين سأجدها؟ وعيناها تملؤهما الدموع، كان مارا بجانبها شاب يافع ذو بنية قوية ويحمل في يده حزمة أوراق – شده المشهد الذي أثر فيه توقف وقال لها: ما بك يا عمة؟

فقالت له: إبنتي إبنتي ولم تستطع تكمله الجملة، قال لها: بهدوء لا تحزني يا أم لقد تغير الوضع وسقط "الكابوس" وإبنتك أصبحت حرة طليقة ثم قال لها: أين إبنتك.

ردت قائلة: لقد حولت إلى سجن آخر وأشارت له للقائمة المعلقة، ذهب مسرعا وقام بنزع الأوراق وضمها إلى الحزمة التي يحملها وطمئنها وقال لها: لا خوف بعد اليوم الأمور تتجه إلى التغيير وسأقوم بجهدي ووقتي لتجتمعي مع وحيدتك وإتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك.

منذ أن دخلت هذا السجن السيء الصيت والمعلوم للجميع، تصورت نفسها أن ليلها طال ولن ينتهي – هكذا كانت تفكر – إنما ما لاحظته مؤخرا يوحي بفجر جديد قد لاح شعاعه، ووضع متغير يخالف ما ألفته سابقا من ظلم وإعتداء وإهانة وإستخفاف وهدر لكل حقوق الإنسان بإسم القانون والمحافظة على السلم الإجتماعي! فجر للحرية والتعبير عن الذات وحقوقها.

***

كانت جالسة في مكتب السجانة تنتظر الوافد الجديد للمكتب بعد إنسحاب أو تغيير الموظف الموكل به، طبعا بعد مغادرة السجانة المكان واختفت تماما ومن معها – كأن بئر قد إبتلعهم، لا أثر لهم – دخل شاب يحمل محفظة كبيرة على كتفه ثم وضعها على المكتب وقدم لها

التحية فردت ببرودة! لأن تفكيرها غارق في البحث عن أمها السجينة وحالها اليوم بعد الأحداث والتطورات المتلاحقة، بادرت بسؤال طالما ارقها، رغم أنه طارئ ونتيجة الأحداث المتسارعة ما الذي حدث بهذه الطريقة؟

أجاب: لقد سقط "كابوس" الظلم والقمع وبزغ فجر الحرية والتعبير عن الرأي.

سألت مرة ثانية أين أمي إذن؟ علت إبتسامة مشرفة محياه ثم قال: ما إسم أمك وأي رقم تحمله في السجن قالت: هو الرقم 11 وإسمها فأكمل لها الاسم بمجرد معرفة الرقم، فبشرها بأنها تنتظر في بهو الإستقبال وأردف قائلا أي مساعدة فأنا في الخدمة وقدم لها بطاقته المهنية شكرته، وهي تكاد تطير من الفرح وتناست معاناتها ومآسيها وصنوف التعذيب التي لحقتها وما تعرضت له من إهانة كرامتها وشرفها، لقد إشتاقت إلى حضن أمها ودفء عاطفتها رغم أنها أتمت عقدها الثالث.

بخطى متلاحقة وسريعة وصلت إلى باب الخروج فوجدته مشرعا على آخره ولا أثر لحراسه الذين كانوا كثر للمراقبة الشديدة والمحكمة

تنفست السعداء وهي تخطو خطوة الأولى خارج أسوار السجن كأنها ولدت من جديد، تغيرت ملامح المارة وحديثهم وإختفى زمن القبضة الحديدية والرقابة الأمنية على كل مفاصل الحياة.

إنتعشت النقاشات والتجاذبات والأحاديث وتشعبت الأفكار بين افراد المجتمع كل شيء أصبح متاح بلا رقيب أو قيود، والتعبير عن الرأي بكل حرية وأريحية، تغيرت الشعارات والصور التي كانت تغزو الجدران والأماكن العامة وتبدلت ألوانها ومعانيها، وكستها بعض الفوضى وبمختلف لغات التعبير، وأخرجوا كل ما في جعبتهم بعد سنوات القهر والظلم والتعدي على الحرمات.

وهي تمشي تتفحص الوجوه كأنها تريد التعرف على أحدهم، فلم تجد ضالتها واصلت طريقها حتى أصبحت بمحاذاة سور مدرستها التي أخذت منها عنوة دون مبرر؟ لليوم وهي تفكر لماذا غيبت في السجن كل هذه السنوات؟ ومن وراء ذلك؟ فإجابتها جاهزة في كل مرة تفكر في الموضوع لأن يعرفها القاصي والداني! أكملت مسيرتها إقتربت من باب المدرسة فوجدته لم يحدث اي شيء ما عدا الطلاء قد تغير وكتبت عليه حديثا شعارات لم تعهدها، توقفت قليلا واسترجعت ذكرياتها

وكيف كانت تعامل معاملة خاصة من مدرسيها وزملائها في المدرسة رغم ذلك الزمن الرهيب، فهي ذات إرادة فولاذية ولا يردعها شيء في قول كلمتها فخلف لها المتاعب والمشاكل، مما أدى بالتبليغ عنها وإيداعها السجن وهو السبب المباشر، إنما السبب الحقيقي هي الأفكار والآراء التي زودها بها والديها، والتي تخالف رأي الحاكم وزمرته ثم أخذت طريقها في الشارع العام وتراقب المارة وتتفحص الوجوه إقتربت من مقصدها !إلتفتت إلى نهج جاني فلاحظت أن المنطقة قد تغيرت تماما وملامحها لا تشبه ما كان عليه سابقا، إختفى بينهم ولم يعد له أثر – وهي تمني نفسها بالعثور على بيتهم واللقاء السعيد أن تجد أمها، ويشتركان الأفراح مع سكان المنطقة، بعد أن مرت على لوحة إشهارية مكتوب إعلان بالبند العريض اليوم إحتفال شعبي بالواقع الجديد.

وقفت والصدمة تعتريها ولا تكاد تصدق الذي وقع لقد سويا بيتهم والبيوت المجاورة أرضا وشيدت حديقة عمومية في المكان، أصبحت مهملة تكسو جنباتها أكوام من الأوساخ تنبعث في المنطقة روائح كريهة!

قصدت مكان الحفل المنظم على عجل دون ترتيب لأن الظرف هو أفراح وكسر قيود والقمع والاضطهاد وذهاب "الكابوس" دون رجعة! جلست بالقرب من المنصة التي تعلو المكان حيث صففت كراسي، لاحظت أن الشاب الذي إلتقت به منذ ساعات في بهو السجن هو أحد المشرفين على هذه الفعالية وقدمه المنشط أنه محامي وناشط حقوقي أدخلت يدها في جيبها للتأكد من هوية هذا الشاب الاسم والمهنة فوجدته يطابق البطاقة التي لديها.

قال المحامي الشاب: ليطمئن الجميع أن حقوقهم سترد لهم ويرافع لينال كل من ظلم أو جذب حقه وفق القانون، ثم واصل بإسهاب يذكر الحضور ما نعيشه اليوم إزاحة 'الكابوس" الجاثم على رقاب الجميع بعد عقود من القهر والتنكيل بالأحرار الشرفاء بعث كلام المحامي الشاب في نفسها الأمل فغرقت في أحلامها وخيالها لترى جلادها بالأمس خلف قضبان السجن متهما، بما إقترفه في حق الجميع لأن أذيته ظالتهم فلا يفرق بينهم في التهم.

***

أصبحت حرة وهي الآن خارج السجن، تمشي وتلتفت يمينا ويسارا كأنها تبحث عن شيء مفقود، توقفت وجلست في مقعد على الرصيف لتسترجع أنفاسها لمواصلة طريقها في البحث عن وحيدها، مرت أمامها زرقات من البشر وهي تدقق في الوجوه لتصادف إحداها وتجد كنزها الثمين، فباءت محاولاتها بالفشل فالجميع مسرع إلى وجهته فلم تسال ولكنها واصلت المسير في الإتجاه الذي يسلكوه، واستغربت هذا التغير المفاجئ، فهي على يقين قبل دخولها السجن لا يجرؤ ثلاثة الإلتقاء في مكان عام!!! وتساءلت وهي تحدث نفسها وأحاسيسها وشعورها بتنبؤها أن زمن العبيد والسيد قد ولى وهي تواصل مسيرها، شاهدت حشد كبير من البشر متواجدين في مكان واحد.

سالت دمعة على خدها مسحتها، وارتسم على وجهها الشاحب إبتسامة الفرح والسرور، وقالت بصوت مسموع: ها قد تحقق حلمك يا غالي وأردفت قائلة! نم قرير العين إن آمالك وطموحك قد ظهرت وبانت ملامحها وأطلت مع الفجر الجديد إقتربت من منصة الحقل الموضوعة في وسط الجموع، والأعناق مشرئبة إلى ما يقولونه المتداولون على الكلمات في هذه الإحتفالية الشعبية والتلقائية، والمعبرة

عن مكنونات أغوار وشعور الموجودين في الحفل، نسيت ما علق بها من تعب ومعانات، وإندهشت أكثر لما لمحت ذلك الشاب وهو يتخذ مكانا في جلساء المنصة ويظهر عليهم الحيوية والنشاط، لوحت له بيديها لعله يشاهدها، ونسيت أن المحتفلين كلهم يلحون بعلامات النصر والإنعتاق من رقبة الظلم ومصادرة الحريات والحقوق!.

إنفض الجمع ونزل من المنصة ودفن داخل الجماهير، والنقاشات والحوارات المتبادلة تعم المكان وأحدثت فيه كثرة الأصوات المتداخلة، فلا خوف بعد اليوم فحرية الرأي والتعبير مكفولة للجميع، شقت الصفوف لتبحث عن ذلك الشاب وهي تقول، أين هو؟ ومن كثرة الإزدحام والأصوات المتداخلة هنا وهناك لم يجبها أحد وبدأت الجماهير تغادر المكان زرفات ووحدان، وفي بضع دقائق أصبح شبه فارغ، تقدم نحوها شاب لأنه أثاره إضطرابها وكثرة إلتفاتها، وسألها ما بك؟

ردت بعفوية أين ذلك الشاب المحامي الذي وعدني بالإلتقاء به؟

قال لها: من تقصدين يا أمي؟ وأضاف قائلا إن الجميع تفرق وذهبوا لحالهم ولم يبقى هنا إلا ساكنوا هذا الحي، بعثت فيها كلمة يا أم شعور

غريب وعلا محياها سرور – لأنها منذ قرابة السنة لم تسمع هذه الكلمة المعبرة!.

ردت وإبتسامة تعلوها: إني أبحث عن إبنتي يا بني وأكملت كلامها الموحل بالحزن والظلام لقد قهرني "الكابوس" وفرق بيننا في غياهب السجون حتى أني لم ارها منذ سنة تقريبا ولا أعرف مكان وجودها، أمازالت على قيد الحياة، وأنكئت جرحها أم لحقت بوالدها داخل زنازين الجلاد.

دعى الشاب أصدقائه وطلب منهم مساعدتها، فهو يعرف معنى السجن كما أخبره أخاه، بأنه جحيم لا يطاق سألها الشاب هل تملك وثائق بأم؟

قالت: لا.

قال: في أي سجن كنت فهي عديدة؟

قالت: كيف لي معرفته دخلته في الظلام وخرجت منه محطم الباب والسور ثم سألها: أي سجن تواجدت فيه إبنتك؟

ردت وقالت: إنه سجن يسمى "البرج" فتكلم أحد الشباب وقال: إنه معروف لدى الجميع، وقال آخر لكنه اليوم أخليا تماما وهو شبه

مهجور إلا من حراسه، تدخل شاب ثالث ثم ذكرهم ألم يتحدث عليه المحامي الشاب منذ قليل، ولكن كيف لنا التواصل معه تدخلت المرأة وقالت: أضنه هو المحامي الشاب الذي إتصل بي وطمئنني، للقاء بإبنتي في القريب العاجل، تفرقوا من حق لها إلا أحدهم سأل نفسه ترى أين ستذهب وهي وحيدة؟ والآن ساعة غروب؟ فكر مليا وتذكر أن بينهم لا يكاد يقيه وأهله! ناد أحد أصدقاءه ويعرف أن أباه كريم وشهم رغم الفاقة والقلة التي يعيشونها فلا يرد له طلب، وقال له، تعرف حالنا فساعدها هذه الليلة إلى الغد.

***

إلتحقت بالشاب المحامي وذكره بالوعد الذي قطعه على نفسه بالدفاع واسترجاع الحقوق كاملة لأصحابها، ويتواضع شيم أخلاق قال لها: سنعمل ما يوسعنا وجهودنا وبمعاونة الجميع على حل كل المشكلات، في هذه اللحظة تذكر تلك المرأة التي تبحث عن إبنتها الوحيدة بعد أن فرقت بينهما السجون وذكرها لها فقاطعته قائلة: وأين هي الآن؟

رد قائلا: لقد تركتها قبل وصولي إلى مكان الحفل وهي خارجة من السجن.

قالت: وأي سجن!

قال: سجن "البرج".

سمعت كلمة "البرج" حتى نزلت عليها كالصاعقة لقد أنكأ لها جرحها الغائر التي أرادت أن تنساه الآن لتأخذ حقوقها تذكرت شرفها المنتهك والتعذيب وأصنافه المتعددة، والكلمات الجارحة والسباب والشتائم التي تلاحقها ولا حدود لها!.

مر من أمامها شريط أحداث السجن والسجان و"فرقة الموت" والصراخ والعويل ليلا ونهارا، وشاهدت بأم عينها كيف تستمتع السجانة بالتعذيب والتنكيل الذي يلاحق السجناء، بعد أن رآها سارحة وغارقة في تفكيرها نبهها قال لها: سنبحث في السجلات، وأخرج من محفظته أوراق كأنها ممزقة واتبع الأسماء في القائمة ها قد وجدتها أهذا إسمها؟ إطلعت عليه فقالت نعم:

ثم توسلت للمحامي الشاب أن يبحث عن أمها أمازالت على قيد الحياة ام حدث لها مكروه؟

قال لها: سأقوم بما يتسمر لي للوصول إليها وعنواني لديك إتصلي بي في كل وقت وسأفتح لك ملف لدى المحكمة قال لها وهو يهم بركوب سيارته اين ستذهبين الآن والظلام يكسو الكون؟ أشارت غلى إمرأة ترافقها، شكرته ولوحت له بالسلام.

أخذت أدراجها ورفيقتها واتجها إلى محطة الحافلات واستغلا الحافلة.

رحب بها في المنزل، وقدمتها لهم فتعاطفوا معها جميعا، واتفقوا غدا سيبحثون عن والدتها، وينشرون إعلانات في المدينة للوصول إليها في أقرب فرصة.

كانت متعبة جدا والإرهاق بادي عليها أخذت حمام وغيرت ملابسها وقدم لها العشاء فهي لم تذق مثل هذا الطعام منذ أن دخلت لذلك المكان السيئ ثم طلبت منها رفيقتها النوم معها في غرفة واحدة لأنها كبير العائلة وزوجها متوفي منذ مدة، هيئوا لها الفراش ونامت نوما عميقا.

كانت تتقلب في فراشها ورفيقتها تراقبها، وفي بعض الأحيان تمسح الدموع وتخاطب نفسها كيف لهذه الأصيلة أن يقع لها كل هذا الألم؟ فتتفكر الوضع الجديد فتبتسم ثم تدخل هي أيضا في نوم عميق،

وتركتها تتمتم بكلمات غير مفهومة وحاولت قبل ذلك أن توقظها لكنها أبت ذلك وقالت هي كوابيس أيام السجن اللعينة.

***

إتبعت المرأة ذلك الشاب بخطوات وهي حذرة وفي منطقة لا تعرفها، والوضع متغير وغير مستقر ربما ينفجر في أي لحظة أو يقع حادث فكل الإحتمالات واردة في مثل هكذا ظروف أشار الشاب بيده وقال لها: ها قد وصلنا إلى بيتنا، فرغم أن المسافة ليست قريبة لكنها أحست بطمئنينة لشباب فطول المسير كان يحيي من يجده في طريقه، فأعطى للمرأة أمان ووثوق فيه – طرق الباب ففتح فقابلهم رجل كهل تظهر على ملامحه وكلامه وأسلوب ترحيبه الوقار والطيبة – وقال بعد التحية مرحبا بك ومن معك قدم الشاب المرأة لوالده ثم قال الوالد لها: البيت بيتك تفضلي ثم سمعت إمرأة قادمة نحوها تقول أهلا بأختي أدخلي على الرحب والسعة ثم أدخلتها غرفة الإستقبال، ونادت إبنتها تعالي وسلمي على خالتك ورحب بها الجميع.

نال منها التعب والجوع حتى كاد يغمى عليها، قدم لها ما تيسر من طعام العشاء، وأمرت إبنتها أن تهيئ لها فراشها معها في غرفتها، قبل

النوم دار حديث خفيف بينها وبين المرأة وسردت لها قصتها وظروف معيشتها.

قالت لها المرأة: من اليوم فأنت كأحد أفراد الأسرة وسنقوم بما نستطيع لجمع شملك مع إبنتك وتقديم ملفك للعدالة لتأخذ حقك وتركتها لتنام وقالت لها الصباح رباح، تبسمت ومدت ذراعها وهي تتمتم بكلمات مرحا مرحا ها قد إجتمعنا في مكان واحد بعد طول السجن والسجان، وأصبح من الماضي يا حبيبتي لا تتركيه يؤثر فيك ما دفع نتيجة الظلم والقهر والإنتهاك للكرامة والشرف لا بد أن نضعه نسيا منسيا، فاليوم نقاوم ونطالب بحقوقنا، ونؤمن بقضيتنا وعدالتها أمام القاضي والداني، فلا ضاع حق وراءه مطالب أمسك بكلتا يديها يدها لتقبلها فسبقتها وقبلت يداه، فأحست بشعور دافئ كأنها ولادة جديدة لها، وتناست كل شيء في تلك اللحظات لقد عاشت حلما جميلا فقامت من مكانها وهي طربة ومزاجها جيد وقالت لها إن حلمي سيتحول إلى حقيقة في أقرب الآجال، ثم عادت إلى نومها.

كانت الساعة تشير إلى السابعة والنصف عندما استيقظ الجميع وكلهم حيوية ونشاط، ودارت أحاديث بينهم، وإتفقوا أن يعملوا قصار جهدهم للبحث عن أمل المراة إبنتها الوحيدة.

هم الجميع بتناول فطور الصباح، فأثار إنتباههم خبر في نشرة الأخبار، تطوع محامين قضاة ونشطاء يتهيئون لتأسيس هيئة تبحث في حقوق الناس التي انتهكت من قبل "الكابوس" جراء الأحكام الجائرة والظالمة، ومصادرة الحريات الشخصية والجماعية.

زاد أمل المرأة وكبر معها حلمها، وتنفست الصعداء، لقد أصبحت حرة طليقة تقول ما يحلو لها ويفرج عنها ضيقها، بعد معانات للسنوات الطوال الماضية، ومعيشتها المنقوصة، من أبسط شروط الحياة للآدمي، والتي كانت سبب ذلك هدر روح زوجها لأنه لم يرضى بالذل والهوان، بل بعزة نفس وإباء وشموخ في تفكيره، سلط عليه العيش في جحيم السجن "الكابوس" وعدم الركوع والدوس عليه بقدم الجلاد!.

***

كان يوم عطلة وفي حدود الساعة الثامنة صباحا إتفق أفراد الأسرة أن يساعدوها في البحث عن أمها، أخبرهم أحدهم أنه سمع أن بعض النشطين والفاعلين في هذه الظروف المتغيرة إتخذوا على عاتقهم البحث والتحري من ملف السجناء وتقديمه للعدالة والمرافعة لينال كل حقه.

سألته وقالت: ومنهم هؤلاء الناشطين؟ قال لها: محامين وحقوقيين وقانونيين....، ثم أردفت قائلة كيف يتسنى لي الإتصال بهم؟ أخرج من حافظته الصغيرة بطاقة وسلمها لها ثم همت بالخروج فقالت لها ربة البيت هلا رافقتك؟

قالت نعم.

ثم قالت لقد إتخذت موعدا مع محامي للشروع في المرافعات والبحث والتقصي في حيثيات الأحكام في السجن! وربما بطول الوقت قالت لها رجلي على رجلك فأنت كإبنتي ولن أفرط فيك إغرورقت عيناها بالدموع تعبيرا عن حب وإكبار المرادة لها، وأملها في حقها المهضوم!!.

إستقلا سيارة أجرة وطلبتا منه توصلهما إلى وجهتهما وذكرت له العنوان، كان راديو السيارة مفتوح على الإذاعة، سمعت خبر مفاده،

اليوم تبدأ الهيئة الوطنية بدراسة الملفات وذكر قضية السبب الذي توفي والدها في السجن، وأمها التي قبعت فيه كذلك ولم يلتقيا بعد، وصلتا إلى الجهة المقصودة، تطلعت غلى المكان فلم تجد اي لوحة إشهارية تقول على ذلك، سالت بعض المارة فأجابوها بعدم المعرفة، وقفت حائرة وقالت رفيقتها ما العمل؟.

فقالت لها: لنلف المكان من جهة الأخرى، تحركتا خطوتين أو ثلاث فلاحظت من بعيد في الجهة المقابلة للشارع شاب يحمل حقيبة ومسرع دخل من باب صغير ثم إختفى داخل العمارة، وقفت تنتظر من يدخل أو يخرج، وعند خروجه نادته فالتفتت فرجع إليها ثم سلم عليا وقال لها: الست أنت؟ (وذكر إسمها)

قالت نعم.

قال: كنت أنتظرك منذ ساعة ولم تأتي.

قالت: كنا نبحث عن المكان.

فأشار لها للوحة الإشهارية المعلقة فوق الباب.

قالت له: هل ملف قضيتي سيدرس في أقرب الآجال؟

أجابها بنعم ونود التعرف على الشهود.

وقال لها: أبشرك بأن أمك في أمان وإذا أردت الإتصال بها هذا رقم هاتف صاحب البيت وهم ينتظروا الإتصال بهم لقد أعياهم البحث حتى دب فيهم اليأس لقد جابوا المدينة طولا وعرضا في هذه الأثناء رن هاتف رفيقتها إنه إبنها وقال لها لقد حضر إلى منزلنا رجل وقال إنه يبحث عن بنت وذكر أوصافها وظروفها الحالية وإنها تنطبق على رفيقتك.

فقالت له، وهل أشار إلى وجود أمها عنده قال: نعم وقال: إنها تنتظرها على أحر من الجمر والدموع لا تفارقها حزنا وشوقا لها، إبتسمت لها وزفت لها البشرى للإلتقاء بوالدتها بعد طول فراق.

***

شكرت صاحب البيت ومعه أفراد الأسرة على ما قاموا له من أجل الوصول إلى إبنتها.

فقالوا لها: هذا أقل واجب تقدمه لمن ضحى بنفسه من أجلنا، تغير حال المرأة بعد معرفة مكان وجود وحيدتها وأنها في الحفظ والصون.

قالت لمن حو لها، كيف لي الإتصال بها في أقرب وقت ممكن؟ فهي متلهفة لإحتضانها لتخفف عليها ما تعانيه ومن عذابات نفسية لفراق

والدتها، وما تعرض له داخل السجن من ظلم وقهر وإعتداء مس كل شيء من أغوار شعورها وأرادوا بذلك تكسير وتحطيم إرادتها ومعنوياتها.

طرق الباب فأسرع أحدهم لفتحه، شاهد سيارة أجرة تنزل منها سيدتان، رجع مسرعا وأخبر الجميع بوجود السيدتان، إنبسطت أساريرها وتسمرت في مكانها وقالت بصوت مع حشرجة: إنها هي هي.... عم الفرح وعلت أصوات الزغاريد وتجمع نفر من الناس أمام البيت، ودموع الفرح على وجوه الجميع، أسرعت وقبلت أمها ثم إنحنت وقبلت رجليها وهي تصرخ أمي أمي وفي هذا المشهد العاطفي للقاء بعد الفراق القصري من قبل الجلاد وزبانيته، زادت القبلات وكأنهما لا يصدقان هذه اللحظة الممتعة نتيجة طول الغياب بينهما.

فلا كلام إلا القبل والنظرات المتبادلة إنها وحشة السجن، تفرق الجمع وأصبحت الأم وإبنتها وجها لوجه، أما رفيقتها وأصحاب النزل دار بينهم حديث شيق وعاطفي حول جمع شملهما وفرحتهما التي لا توصف، طلب من الرفيقة أن تمكث وقتا أطول ولا داعي للقلق وترجوها أن تبيت معهم الليلة وغدا سيكون أمر آخر.

غادرت الرفيقة ونشوة الفرح تغمرها لأنها جمعت شمل أسرة بعد أن فرقهم "الكابوس" ثم تواعدتهم على الزيارة مرة أخرى ودعت الجميع بحرارة، قامت البنت وقبلت يد رفيقتها وطلبت منها المعذرة على عدم مرافقتها لتبقى مع أمها.

جلستا جنبا لجنب وحنين اللقاء يغمر المجلس والإبتسامة متبادلة بينهما، ونسي معاناتهما وما لحق بهما من مظلومية في السجن وتنكيل ومصادرة أبسط الحقوق والإعتداء المتواصل بأنواعه، وتاها في نسيم الحرية وفجر الأمل القادم، والتخلص من آثار تلك الأيام الحالكة، ثم دار بينهما هذا الحوار.

أمي؟ قالت: نعم بنيتي.

أين سنذهب وتقيم؟

قالت: هناك عند أخوالك.

فقالت لها: إنهم يقطنون خارج المدينة وأن ملفنا بصدد الدراسة ونحتاج إلى وجود يومي للمتابعة والإطلاع على مجريات الأحداث داخل أروقة المحاكم والهيئات التي وعدت بمساعدتنا لنيل حقوقنا كاملة غير منقوصة ردت الأم: لقد وعدني المحامي والقانوني الشاب.

بالتكفل التام بقضيتي وإذا طرأ أمر ما سيستدعي للحضور الشخصي ويأتي إلى هناك عند بيت أخوالك ثم أكد لي وعده وقال لي، أن وعد الحر دين يا عمة فلا تقلقي.

صمتت قليلا وهي تفكر ثم إسطردت وقالت لأمها: وهي تود التوضيح والإستفسار.

من هو هذا الشاب؟

ردت: إنه شاب يافع كله نشاط وحيوية ولا يدخر جهدا في مساعدة الحالات شبه حالنا، وقد قال لي مرة أن هناك قضايا وحالات مشابهة لما تعانيه.

قالت: آه تذكرت وأظنه نفس الشاب الذي قطع وعدا عن نفسه بأن يرافع على قضيتي وبالمناسبة هو من دلني على اللقاء بك، يا لها من أقدار عجيبة ساقته إلينا!.

إلتفتت لأمها بنظرة توحي لشيء ما، فبادرتها أتودي أن تقولي أمر حبيبتي؟

قالت لها: كيف نرد جميل من وقف معنا في هذه الظروف الصعبة من الأسبرين.

قالت لها: الأيام كفيلة بذلك يا حبيبتي، هيا لنرحل نودعهم على أمل اللقاء بهم في أفراح ومسرات قادمة.

شاع بين الناس تأسيس هيئة وطنية تدافع وترافع عن حقوق المظلومين بعد إنهيار "الكابوس" وغزت إعلانات تطالب من له مظلومية ويريد تقديم شكواه، عليه الاتصال بها.

بعد تشكيل الهيئة وزعت الأدوار والمهام المنوطة بكل عضو في مجلسها القيادي، كان نصيب الشباب المحامي والحقوقي هي البحث والتحري والتقصي في قضايا النساء اللاتي تعرضن إلى محاكمات صورية والتنكيل بهن وهضم كل الحقوق البشرية المتعارف عليها.

قال لأحد معاونيه، إن هذا الملف هو أثقل مما تتصور، والأيام بيننا صديقي، لذا وجب الإجتهاد والكد وستعترضنا عقابات كؤود وضغوطات كبيرة، لأن القضايا التي ندرسها بعضها يمس رؤوس كبيرة كانت ترتع وتجول وتصول وأشار له بالملف الموضوع أمامه، قبل إزاحة "الكابوس" وهي الآن تريد طمس كل الشواهد والأدلة، حتى ولو أدى ذلك إلى تغيير مسار العدالة وإجهاضها ووأدها في مهدها قبل أخذ البريء حقه والمتهم جزاؤه؟.

بدأ يستقبل الملفات ويصنفها ويراجعها، ويثبت بيانات المتقدمين لدراسة ملفاتهم، وإعداد إيداع الملفات في تزايد مستمر وهو يدقق فيها حتى تكون الإنطلاقة على قاعدة صحيحة، ومشوار المتابعة بقي بغرض وجود الهيئة.

طلب من أحد مساعديه تولي قبول الملفات وترحب بها وترقيمها، حتى يعود من سفره لتكملة ملفات مازالت عالقة، فقاطعه مساعده قائلا: تذكر يا أستاذ تلك المرأة وإبنتها التي وعدتهما للنظر في قضيتهما.

فقال له: إن سفري هذا لأجلهم فقط وحالهم على ما يبدوا عسيرة، وأنت تعرف جيدا كيف عذب الزوج وتوفي داخل السجن، وقد قلت لي مرة أنك إلتقيته في عيادته قبل دخوله السجن، وذكرت لي معاملته الحسنة وأخلاقه الرفيعة، آه ذلك وقت مضى، المهم ركز جيدا على ما هو أمامك من ملفات إلى الملتقى غدا إن شاء الله، مع السلامة كانتا تعيشان في إحدى القرى البعيدة عن المدينة المترامية الأطراف، وأجبرنا قصرا لأنهما عشن في كنف المدينة ولم يذهبا إليها قط إلا لزيارة الأقارب ومشاركتهم مناسباتهم.

إستقبلاهما أخوالهم بالود والمودة وسعة صدر وهي من صفات أهل الريف زيادة على القرابة.

في السهرة العائلية المعتادة يتجمعوا حول الموقد والأحاديث والحكايات يتبادلونها واحد تلو الآخر هذا ديد لهم في هذه اللقاءات.

أما اليوم حل بينهم ضيفين جديدين وليس كبقية الضيوف فأصبح لزاما تغيير حديث السمر بما يناسب الجلسة.

تدخل كبير العائلة وقال: ألا تعلموا أن أختي وإبنتها عشنا فترة زمنية مسلوبتي الحقوق والكرامة بل إضطهدتا وتلقيا الأمرين داخل السجن، ولعلمهم أن زوج أختي كان طبيب بارعا وماهرا ومتمكن من مهنته حتى أصبح إسمه يتردد على الألسنة، وزد على ذلك كان يحمل صفات المروءة والشهامة ولا يرضى الدنيا أبدا.

لقد لقي نحبه داخل السجن قبل الإطاحة بـ "الكابوس" فتعدى التعذيب والإهانة إلى أسرته من بعده لتأخذ نصيبها من إهدار الكرامة والإعتداء اللفظي والجسدي بل تعداه إلى أمر خطير يمس شرف الإنسان في بالك يا بنيتي! لقد سلبت الإبتسامة من تفكير الجلاد وأعوانه، فهو يستمتع ويتلذذ بتعذيب الأبرياء، بتلفيق التهم جزافا

ومجانية، لأنهم لا يرضون أن يكون عبيد لجلاد والدنية في حقوقهم وأن يعيشوا بكرامة ومرفوعي الهامة: هذا هو الذي ضاعت بسببه جزءا من حياتهما.

ثم قال: اليوم تغير الوضع وذهب زمان السيد بدون رجعة وغير مأسوف عليه.

فلنساعدهما على العيش الكريم في وطن الجميع وهم مشدودين إلى حديثه وهو يسرد تفاصيل قصتهما.

قال لهم: ها قد إنتهى وقت السمر إلى الغد.

كانت الساعة العاشرة صباحا، إتخذ طريقا غير معبد ليصل مقصده.

بعد أن دله من وجده في طريقه، شاهد منازل مترامية ومبعثرة بشكل فوضوي، قصد دكان صغير فرجع خائبا ثم واصل مسيره بين المنازل المتهالك منها والمبني حديثا، وبعض الحيوانات رابضة خلفها، وقف حائرا وتاه في هذه القرية، مر من أمامه رجل فبادره بالسلام وقال له: إني ابحث عن إمرأتين جاءتا حديثا إلى هنا، وقال أيضا: فهل تعرف أين أجدهما؟

فرح الرجل كثيرا ورحب به ثانية وابتسم في وجهه ثم قال له: لقد أنشدت ضالتك فهما قريبتي فانا الخال والأخ، إتبعني وأشار إليه هذا هو المنزل:

قال له: تفضل أدخل فأنت ضيفنا، فبادره لقد وصلت منذ ساعتين إلى القرية وأنا أبحث.

فقال له: بعد الغذاء سيكون الحديث إرتاح الآن.

قال لصاحب البيت: عليا المغادرة قبل حلول الظلام لذا أطلب المرأتين لبعض الإفادات لتسجيلها وتقديمها أثناء عرض الملف أمام القاضي.

دخلتا المرأتين وبدأ بتسجيل إفادة الزوجه وحثها على الحضور بعد الغد إلى الهيئة للإحاطة بكل حيثيات القضية، ثم سجل ملاحظات وإحاطات خاصة بالبيت، ثم غادر القرية إلى المدينة.

خرجتا في الصباح الباكر بعد أن أحضر لها سيارة أجرة لتوصيلهما إلى المقصد في الوقت المناسب.

في قاعة الإستقبال جلستا تنتظران موعد الإفادة مع بقية المنتظرين، جاء دورهما تقدما نحو اللجنة المخصصة لذلك وأجابا على جميع

الأسئلة، الحساسة منها كانت تكون على إنفراد وقد تسجل الإجابة من طرف إمرأة في اللجنة لرفع الحرج، ثم طلب منهما ان تنتظرا جلسة خاصة لدى المحكمة للنظر في القضية والبحث فيها.

طلبت المراة من هيئة المحكمة أن تنظر في قضية بيتها الذي صودر دون وجه حق وقدمت وثائق تثبت ملكية المنزل العائلي، رفعت هذه القضية على جناح السرعة للأمور المستعجلة لم تمر أيام حتى جاءت لهما الأخبار السارة والبشرى ان ملكية المنزل عادت لهما، لقد حكمت المحكمة بالتعويض والتنفيذ الفوري للبيت الذي صودر وأقيمت عليه حديقة عمومية زمن "الكابوس" عادتا إلى منزلهما الجديد في إحدى ضواحي المدينة، وعمت الأفراح وجاء الزوار من الأقارب والأصدقاء وحتى الجيران الجدد وهم يقدموا لهم إليها حتى التبريكات ويتمنوا لهم العيش الكريم مستقبلا، في غمرة الأحداث ظهر عنصر يريدان إفساد الأجواء الحميمية ويعيق مسار العدالة وتكييفه حسب اهواء بعض الناس الذين تأثروا بزوال "الكابوس" من على الرقاب، وأراد التشويش فأصطنع قضايا أخرى لا تمت بصلة قريبة أو بعيد لقضيتهما المرفوعة لدى المحكمة وهما ينتظران الجلسة

والتأكد من براءتهما وإدانة المتهمين فالأدلة والشواهد المقدمة كافية لذلك أنها كانوا يعيشون كالعبيد تحت "الكابوس" فحياتهم مرتبطة بسيدهم رغم إزالته ! فهم مصرون على إعاقة أي عمل جاد ينصف ويحقق الآمال ويعطي الحقوق لأصحابها.

***

إلتم جمع من الناس أمام الباب ينتظرون فتحه، فاليوم تتم المداولة والنظر في قضيتين معروفتين كالآتي رقم 1، 14.

- القضية الأولى: رقم 1: لإمرأة شابة ساقها الظلم والقهر إلى السجن، لأنها إبنته وكانت تظهر نوع من التحدي والخروج عن النظام العام في الملبس والكلام كهذا أتهمت؟

القضية الثانية: تحت رقم 14: هي متصلة بالقضية الأولى وهي نكاية في زوجها وتحطيم كل أمل في الحياة، وتنقيصها عليها ولأنها تخالف ما تعارف عليه الناس في هذه الحقيقة "الكابوس"!.

دخل القاضي إلى قاعة المحكمة، وكانت مكتضة عن آخرها، وقف الجميع حسب المراسيم، ثم عادوا إلى أماكنهم وعم الهدوء، سمع صوت له صدى كبير "محكمة" إنتبه الجميع، وهي ترمق القاضي من

بعيد بنظرة تحدي وإرادة لا تكسر، وتشعر بالأمل رغم المنقصات التي إعترضت طريق إجراءات ودفع قضيتها، بعد تلاوة تقرير قاضي التحقيق، أمر رئيس الجلسة المحاكمة بوكيل المتهم أن يقدم مرافعاته ودفعاته أمام المحكمة وهيئتها، تقدم وتلى ما لديه من أدلة وشواهد تفيد بالإدانة للجاني وذكر بعضهم بالمناصب التي كانوا يزاولونها والتواريخ (إحتفظ بالأسماء بطلب من القاضي)؟

دخلت هيئة المحكمة مرة ثانية بعد المداولة للتصدر الحكم، كان المشهد مريع والكل على أعضابه ومشدود – نظرا لما كان يتداول بأن الحكم سيخفف وقد يلتمس له البراءة لأنهم كانوا تحت الضغط وخارج إرادتهم – في الحقيقة أن جهات نافذة وتحكم في قواعد اللعبة مازال بيدها الحل والربط، حتى قال أحدهم داخل رواق المحكمة إنها صورية فقط!.

إنتباه إنتباه – وطرق بمطرقة المحكمة صمت الجميع، تحول القضية رقم 1 إلى جلسة ثانية لإستكمال الإجراءات رفعت الجلسة.

***

محكمة قالها بصوت عال: القضية رقم 14 تداولت هيئة المحكمة بعد عرض تقرير الإتهام وتقديم المحامي الموكل بالقضية مرافعاته ودفاعه تلا القاضي تقريره وقبل النطق بالحكم أمر الحاضرين بالوقوف ثم قال باسم القانون!. وباسم الشعب حكمت المحكمة بـ: براءة المتهمية لعدم كفاية الأدلة وتعويض الضحية والمتمثل في إسترداد بنتها (حكم سابق)! وعدم المتابعة مستقبلا! رفعت الجلسة.

***

تحولت القاعة من صمت المقابر قبل النطق بالحكم إلتفت رئيس الجلسة إلى اليمين واليسار في حركة تدل على حدث طارئ؟ وأمر بتوقيف الجلسة للحظات وطلب من الحضور الإنتظار، خرج مسرعا من المنصة واتجه إلى مكتبه وهاتفه يرن سمع صوت تهديد ووعيد، وإحمر وجهه فقد تركيزه بعد المكالمة دخل عليه شاب يحمل في يده ملفا كاملا وقال له خذ واحكم وأغلق الباب في وجهه، اصابه دوران خفيف، بعد أن تأخر قليلا تفقده بعض مساعديه، فوجده يدور داخل مكتبه، وغارق في التفكير، إقترب منه وقال له: هل أساعدك سيدي؟.

فرد ماذا قلت وكرر نفس السؤال ولم يجبه، شاهد على مكتبه حزمة اوراق مبعثرة إطلع على أحدها، إصفر وجهه وطلب منه المغادره على جناح السرعة.

قبل أن يخرج المساعد قال له: القضية مؤجلة إلى وقت لاحق، فرد كيف سيدي فقال له: إقرا تلك الورقة المرمية على البلاط تجيبك على ذلك.

دخل إلى قاعة المحكمة بخطى ثقيلة توحي بحدث ما، وقال: تؤجل القضية رقم 1 إلى جلسة أخرى ثالثة، رفعت الجلسة.

عمت الفوضى قاعة المحكمة وكثر الكلام من هنا وهناك من متأفف وحانق، وقال أحد الحضور: لم يزاح "الكابوس" بل غير لباسه فقط!.

صدمت بعد كل هذه الإجراءات وصرخت في الجميع إن، إمرأة من حقي أن أعيش فكيف أغتصب مرتين في السجن والمحكمة!!!.

الفهرس

الفصل الأول: 7

الفصل الثاني: 20

الفصل الثالث: 67

الفهرس 101

مطبعة دار الماهر الصناعية –أكتوبر 2019–

جميع الحقوق محفوظة